

تموز وآب سنة ١٩٤٢ جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦١

طرائف فارس

كانت بلاد فارس عجيبة البلاد التي دخلها الإسلام وتغلغل في احشائها · ورتب بقوانينه جميع اوضاعها ، ذلك لأن بلاد فارس عرفت قبل أن يأتيها العرب فاتحين بالحكمة وسياسة الملك ، واشتهر ابناؤها بالنشاط والذكاء وحسن المأتى · ولا يستغرب الجهد الذي بدأ من فارس في كل الأدوار التي استولت فيها العرب عليها فالشعب الفارسي سلالة امة عظيمة حاكت مدنيتها بيدها على توالي القرون وصبرت على الأيام وتطورت بتطور الدول فلما تأصل الإسلام فيها تأصلت فيها اللغة العربية والأدب العربي كما تأصلت تعاليم الدين وفقهه ، فكان فيهم العلماء والحكماء والشعراء والأدباء على ما كان في الأقطار الأخرى التي تعربت في كل منازعها كالشام ومصر مثلاً ·

وظلت اللغة العربية في الديار الفارسية نحو عشرة قرون لغة الدولة والعلم والدين وجاء فيها من جلة البلغاء من كانوا مفخرة العرب على الأيام ومنهم من كانوا من اصول عربية نزل اجدادهم في الفتح تلك البلاد الجميلة وما اندمجوا في الفارسية واحتفظوا بلغة آبائهم احتفاظهم بدينهم وعاداتهم واقتبسوا من الفارسية وعادات البلاد ما لم يؤثر كثيراً في خصائصهم الاولى · ومنهم من كانوا اعاجم باصولهم فلما اتقنوا العربية برزوا فيها كأبنائها وخدموها اجل خدمة بعقولهم وأعمالهم والسنتهم وقلوبهم وكم من بليغ عدّ عربياً محضاً وما هو الا فارسي تعرّب وشغف بالعرب ومدنيتهم واهتدى بالإسلام والقرآن ·

امامي الآن كتاب مخطوط نادر اخذه المجمع العلمي العربي بدمشق بالتصوير

الشمسي اسمه طرائف الطرف واسم مؤلفه البارع الهروي وهو كتاب طريف في ذاته عالج موضوعاً طريفاً يصح أن يكون منه برهان آخر على ما ادعيناه في مقدمة هذا الكلام من ان الفرس أو علماؤهم وادباؤهم في عشرة قرون كانوا عرباً اكثر من العرب .

جمع هذا المؤلف في ديوانه هذا الف بيت تصلح للمنادمة والمحاضرة وتستعمل في المجالس والمحافل وتوشح بها ادراج الرسائل واورد فيه ابياتاً لشعراء من أهل القرن الخامس والسادس كأبي الفرج بن هندو والأبيوردي والباخرزي وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابي سعد الهروي . وكان ابو سعد هذا من بلغاء خراسان وعقلائها ترجم له صاحب اليتيمة فقال انه كان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلمات الخطوب وكان متبحراً في النثر مقلاً من قول الشعر وهو القائل :

وكان الصديق يزور الصديـ ـق لشرب المدام وعزف القيانِ
فصار الصديق يزور الصديـ ـق لبث الهموم وشكوى الزمان

ولقد يلاحظ من يقرأ الشعر العربي الصادر عن خراسان وفارس والعراقين والشام والحجاز ومصر وافريقية والمغرب والاندلس ان الروح العربي المتجلي في الشعراء واحد وان الاقليمية قليلة في اشعارهم لأنهم كلهم يصدرون عن مورد واحد ويتدارسون شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية والاسلام ولذلك يستسيغ كل عربي على اختلاف الاصقاع والبقاع والازمان ما اشتهر من جيد كل شاعر ويولعون بانشاد شعر الافريقيين كما يتنافسون في انشاد شعر الآسياويين ويعدون من اهل بيتهم العظيم كل مجيد سواء كان فارسياً او خوزيا او خزَريا او تركياً او بربرياً او قبطياً . وعجيب تأثير هذه اللغة فيمن اقتبسوها وتبنوها .

لولا ان المؤلف بدأ كتابه بالمعرّي ونقل شعراً لابن دريد لقلنا ان هذه المجموعة كلها من شعراء بلاد العجم بدأه بقول ابي العلاء المعري :

الا انما الايام ابناء واحد وهذي الليالي كلها اخواتُ
فلا تطلبنْ من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

وقال :

من راعه سبب او هاله عجب فلي ثمانون حولاً لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

وقال ابوعلي بن سينا:

ادرت في هذه الدنيا وساكنها طرفي فأبصرت دارا مابها [1] أرمُ
الواجدون غنى والعادمون نهى ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
ليسوا وان وجدوا عيشاً سوى نعم وربما نعمت في مثلها النعم
سيان عندي وان بروا وان فجروا اذ ليس يجري على امثالهم قلم

وقال ابو علي:

رضيت من الدنيا بقوت وشملة وشربة ماء كوزه متكسرُ
فقل لبني الدنيا اعزلوا من اردتم وولوا وخلوني من البعد انظر
فما ملك الآفاق يجبي خراجها اليه ولا ذاك الأمير المؤمر
بأهنا مني عيشة لو عرفتها ولكن اسير الحرص عن ذاك اعور

وقال ابو الفرج ابن هندو :

لا تنكري يا عز ان ذل الفتى ذو الأصل واستعلى لئيم المحتدِ
ان البزاة رؤسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقال :

اصاح اتق السلطان لا تقربنه فما هو الا في الحقيقة نارُ
ولا تك كالحوّاء يرقي صلاله ضلالاً وعقباها عليه دمار

قال :

أرى حاجة الانسان قوتاً وملبساً وسائر حاجات النفوس فضولها
فما العمر الا ساعتان فساعة تولت وأخرى انت ترجو حصولها
فكم كل هذا الكد من اجل ساعة وليس بقينا ان تنال وصولها

(١) ارم ككتف اي احد

وقال الابيات المشهورة :

يتمنى المرء في الصيف الشتا ... فاذا جاء الشتا أنكرهُ
فهو لا يرضى بحال ابداً ... قتل الانسان ما اكفره

قال ابن دريد :

وما احد من السن الناس سالماً ... ولو انه ذاك النبي المطهرُ
فان كان مقداما يقولون اهوج ... وان كان مفضالاً لقالوا مبذر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم ... وان كان منطيقاً يقولون مهذر
وان كان صواماً وبالليل قائماً ... يقولون زوّاق يرائي ويمكر
فلا تحتفل بالناس في الحمد والثنا ... ولا تخش غير الله فالله اكبر

قال :

اني لأشكو خطوباً لا اعينها ... ليبرأ الناس من عذري ومن عذلي
كالشمع يبكي ولا يدري اعبرته ... من حرقة النار او من فرقة العسل

وينقل البارع مؤلف الكتاب ابياتاً لشعراء لم نعرفهم في هذه الديار ومنهم الشيخ الامام مجد الدين علي بن الهيصم قال :

سأمضي لنصر الحق والشركُ راغم ... ببيض لقدّ الدارعين ظماء
ومطرورة زرق تروح وتغتدي ... لنهب نفوس او لسفك دماء
اذا خالطت في الطعن درعاً حسبتها ... صلال الافاعي في قرارة ماء
فان مت يوماً فالجهاد وسيلتي ... وان عشت فالطعن الدراك غذائي
فلا زالت الأعداء في شر حالة ... وكانوا على رغم الانوف فدائي

قال محمد بن منصور :

ما غص بي قط ناد غير مطلوبِ ... وماء وجهي مصون غير مصبوبِ
اعوذ بالله في سر وفي علن ... من ان يكون وصالي غير مخطوب

وقال صاحب الكتاب :

فلا تنكربني انني من معاشر ... لقد اورثوني العلم والفضل والندى
فانا كرام من اكارم معشر ... ولكن علينا صرف ذا الزمن اعتدى

ومن الشعراء الذين لم يشتهروا (العاصمي) ووصفه بالامير قال في صفة القلم :

وطائر في وكره نائم يوقظه المرء لأوطاره
مختصر الخلقة لكنه تجاوز النجم بمقداره
له جناح بان عن كشحه يطير في الارض بأسراره
حياته في قطع اوداجه وعيشه في قط منقاره
يكرع فيمستنقع القار كي يأخذ بالمنقار من قاره

ومنهم الغزي ومن شعره :

يا سيد الوزراء رأ يك في الوغى للملك لامه
في الفضل فقت ابن العميد وفي الندى كعب بن مامه
من ذا يصدك عن خلا لك بالمكارم مستهامه
كرم السجية خلقة لا تُسلب الطوقَ الحمامه
أتراك ترضى ان اقول والزم الدهر الغرامه
وعد الوزير بخلعة ميعادها يوم القيامه

وقال البارع الفوسنجي :

وجود المجد في الدنيا عزيز ولا يحظى به الا مهذبْ
وكيف يفيد مجد المرء فيها وكل مهذب فيها معذب

وردد في باب شكاية الدهر لأبي العلاء المعري — ولعله ابو العلاء السروي :

فوق العقول تصرُّف الأزمانِ ما المرء الا نهزة الحدثانِ
اسعى وجهد جاهد وتقلب حالا بحال ثم كل فان
ان لم تجد سبب الخلود فكل ما ابرمته ونقضته سيان
ما حيلة الإنسان في مأموله والعجز آخر حيلة الإنسان
ولقد منيت بهمة طماحة وعثار جد ليس يتفقان

وروى قول من قال :

أبا العلا يابن سليمانا عماك قد اولاك احسانا

انك لو ابصرت هذا الورى لم ير انسانك انسانا

وقال :

ولما رأيت الدهر لم يرع حرمة لفضلي وآدابي وعلمي وموضعي
رضيت بجور النائبات وحكمها فقل لصروف الدهر ماشئت فاصنعي

وقال الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب اسرار البلاغة وهو مما اشتهر كثيراً :

كبر على العقل يا خليلي ومل الى الجهل ميل هائمْ
وكن حماراً تعش بخير فالسعد في طالع البهائم

وقال :

تسلّ فليس في الدنيا كريم يلوذ به صغير او كبيرُ
قريع المجد ليس له انيس وحزب الفضل ليس له نصير
ولا احد من الاحرار الا كسير يد النوائب او اسير
ولا امر ينفذه امير ولا ازر يشدده وزير

وقال :

وقالوا يقتل الدجالَ عيسى ويملك بعده الدنيا سنينا
فكيف جرى على العكس ابن عيسى مضى وتصدر الدجال فينا

وقال :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
ان الوزير بلا ازر يشد به مثل العروض لها بحر بلا ماء

ومما روي في باب التهاني والتعازي والواقعات :

لا تسهرنّ اذا ما الرزق ضاق ونم ما دمت في ظل أمن ساكن البالِ
فبين غفوة عين وانتباهتها يقلب الدهر من حال الى حال

وقال :

لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب على خمولك ان ترقى الى الفلكِ
بينا ترى الذهب الابريز مطرحاً في الترب اذ صار اكليلاً على ملك

وقال :

يقولون لي قد شخت فارجع عن الصبا   فقد لاح صبح في القذال عجيبُ
فقلت لأصحابي دعوني ولذتي   فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال :

ايا بومة قد عششت فوق هامتي   على الرغم مني حين طار غرابها
رأيتِ خراب العمر مني فزرته   ومأواك من كل الديار خرابها

وقال :

كذا عادة الدنيا فهل انت صابر   خطوب تفاجينا وموت يكابرُ
كفى عظة ان كلما جئتَ بلدة   تلقتك من قبل البيوت المقابر

وقال :

فان اك في الشباب نعمت وصلا   ففي شيبي بنار الهجر اصلى
كذا السربال تلبسه جديدا   ويحرق في المشاعل حين يبلى

هذا ما اتسع له المجال من نموذجات الشعر العربي الذي نظم في فارس اقتبسناه من ذاك المخطوط النادر الذي ظفرنا به . وعلى ذكر المخطوطات العربية أرى أن اذكر مثالاً جميلاً من حرص أهل ايران الى اليوم على الكتب العربية وربما كان المحفوظ منها هناك اكثر من كل قطر عربي بل اكثر من مصر سيدة الأقطار العربية . ففي طهران عاصمة ايران اليوم وكانت تعرف قديماً بالري اربع خزائن عظيمة خزانة حاجي السيد نصر الله التقوي وخزانة قصر كلستان وخزانة مجلس النواب وخزانة سپاهسالار وفي اصفهان عدة خزائن للأفراد ومنها خزانة ألفت . وفي مشهد الرضا في طوس خزانة الرضوي وفي خوزستان خزانة وفي دزپول خزانة ظهير الإسلام وفي سبزوار خزانة السبزواري وا كثرها كتب في الحكمة وفي قُم خزانة مدرسة الفيضية . وهناك كما قلنا عدة خزائن للافراد يحتفظون بكتبهم العربية وربما كان أصحابها لا يحسنون العربية كثيراً ويرون ابقاءها في بيوتهم من علائم السراوة والشرف والمروءة .

محمد كرد علي

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول

— ٢ —

(١٦) بيوت الحمام والدجاج — في الصفحة ٤١ من المجلد الأول : الجَدِيلة شريجة الحمام وغيرها (عش الحمام والدجاج) انتهى . وقد كتبت في المقطم حول هذه اللفظة ما يلي « في العربية اسماء تغنينا عن الجديلة التي اشك في هل تدل على شريجة تأوي اليها طير الحمام ام شريجة تستعمل في الحمّامات — بتشديد الميم — كما ورد في القاموس في باب جديلة . فبيت الحَمَام هو التِمْراد والرِيْم وبالفرنسية Colombier . وبيت الدجاج او قفص الدجاج هو الُخم اي Poulailler . ويكون للدجاجة مفرخ تفرخ فيه وهو المسمى Couvoir . اما آلة التفريخ الفرنجية فهي المِحضنة و الحاضِنة اي Couveuse ولا نعلم ان للدجاج عشاً . فماذا يريدون بالجديلة ؟ »

وقد سكت المجمع عن هذه اللفظة وعن الموضوع كله فلم يقرر شيئاً في المجلدات التالية من مجلته .

(١٧) الإزهار ونظام الإزهار — في (م ١ ص ٩٧) وضعت اللجنة امام Inflorescence كلمة نُوّارة فنبهتها في المقطم الى ان اهم معنى للكلمة الفرنسية هو نظام الازهرار . وفي (م ٢ ص ١٥٦) اقر المجمع للكلمة الفرنسية معنيين وهما الإزهار ونظام الإزهار ، واطرح لفظة النوارة ، وحسنا فعل لأن معناها الزهرة او الزهرة البيضاء . قلت الإزهار والإزهرار والإزهيرار والتنوير هو بالفرنسية Floraison و Fleuraison ولم يذكرهما المجمع ، وهما يدلان على الإزهرار وعلى اوانه . اما Inflorescence في علم النبات فهو نظام الإزهار ، وان شئت فقل نظام التنوير ، كأن يكون مجموع الزهر على شكل عنقود او خيمة او سنبلة او عِذْق او طلعة او عثكول الخ . وليس هنا مجال ذكر هذه الأشياء وذكر اسمائها الفرنجية فليراجعها من يشاء في عدد آب سنة ١٩٢٨ من مجلة المجمع العلمي العربي هذه .

(١٨) الثمرة – • اقر المجمع ان الثمرة هي بالفرنسية Fruit • ولست ابتغي البحث عن هذه الترجمة التي يعرفها تلامذة المدارس الابتدائية ولا يختلف فيها اثنان، بل البحث عن الايضاح الذي ذكرته لجنة المجمع للثمرة (م ٢ ص ١٥١) فقد عرفت اللجنة المذكورة الثمرة بما يلي :

١ – نتيجة النبات الصالحة لابقاء النوع • وتتألف من الحب مغلفاً او غير مغلف • فالأول كالتفاح والبرتقال مثلا، والثاني كحب القمح •

٢ – ما يتكون من تحول عضوالتأنيث الزهري كله، او المبيض، بعد الالقاح •

قلت : التعريف الاصح للثمرة في علم النبات هو ما ورد في الفقرة الثانية • وقد راجعت في خزانة كتبي عشرة كتب عداً من التي فيها تعريف للثمرة فوجدت ان مؤلفيها الفرنسيين، وهم من اشهر علماء النبات وعلماء الزراعة، قد عرفوا الثمرة بما ورد في الفقرة الثانية، او بما يقاربه ليس غير • والتعريف الأول انما وضع لأن البزرة هي عندهم من معاني الثمرة • فاذا اعتبرت الثمرة بزرة يحيط بها جدار المبيض عرفت بما يشبه الفقرة الأولى • اما اذا اعتبرت الثمرة مبيضاً ألقح ونما وتضمن البزرة فهي تعرف بما يشبه الفقرة الثانية وهو أصح • لأن التعريف الأول فيه مجال لاعتراض المعترضين ولا سيما المتزمتين منهم، كأن يقال بانه يجب ان تكون الثمرة شيئاً والبزرة شيئاً آخر، وان الصالح لبقاء النوع هو البزرة لا الثمرة، وان حبة القمح مغلفة اي انها تسمى في الاصطلاح برة Caryopse وانها نباتياً ثمرة يابسة غير متفتحة مركبة من بزرة مغلفة بالغلاف الثمري (او الجدار الثمري) الخ •

وبناء على ذلك كنت ارجح ان يكتفي المجمع بالفقرة الثانية، وان يضيف اليها اذا شاء ان من معاني الثمرة البزرة • ومن المعروف انه لا مجال لذكر سائر معاني الثمرة وهي كثيرة، لأن بحث المجمع الذي نتكلم عليه يقتصر على العلوم المتعلقة بالأحياء، ولا يتجاوز علم النبات فيما يختص بالثمرة •

(١٩) – البُيَيضة والبُذَيرة : في الصفحة ١٥٤ من المجلد الثاني (مادة Grain) : اطلق الشراح لفظة بييضة على جزء الزهرة المسمى Ovule • اما في

المجلد الرابع (ص ١٣ ثم ص ٩٩) فقد عدل المجمع عن البييضة الى البذيرة . قلت والأولى اصلح لانها ترجمة الكلمة الفرنسية تماماً . وهي مستعملة عندنا في كتب النبات والزراعة . اما البذيرة فهي تصغير البذرة . والبذرة (اوالبزرة) غير البييضة، اي انها البييضة بعد ان تُلقح وتنمو وتحول . وتحقير البذرة (اي تصغيرها) لا يفيد ارجاعها الى حالة البييضة .

(٢٠) المِيسم — في الصفحة ٩٩ من المجلد الرابع (مادة Ovule) ذكر الشارح لفظة الميسم ووضع أمامها Carpelle . ونحن لا نرى وجها لهذه الترجمة . وقد اصطلح على ترجمة Stigmate بسِمة وبميسم وهو القسم الأعلى من المدقة أسيه الوزيم . ومن المعروف ان من معاني هذه اللفظة الفرنسية اثر الجرح واثر الكي اي الوَسْم . وقد سموا هذا الجزء من الزهرة سِمة تشبيها له باثر الوسم . ومن معاني الميسم اثر الوسم .

(٢١) — مستورة البزور وعُريانة البزور : في الصفحة ٩٩ من المجلد الرابع (مادة Ovule) ذكر الشارح كلمة Angiospermes وترجمها بقوله النباتات الغلافية . ونحن لا نرى معنى لهذه الترجمة . فالكلمة الفرنجية من اليونانية aggeion اي اناء و Sperma اي بزرة . ومعنى هذه الكلمة مغلفة البزور او مستورة البزور . ويخالفها Gymnospermes وهي أيضاً من اليونانية Gumnos اي عريان و Sperma اي بزرة . ومعناها عريانة البزور .

(٢٢) — الفاظ التصنيف : قلت في كتاب الدواجن المطبوع سنة ١٩٣٠ بدمشق (حاشية ص ١٦) «اذا قال احد النحاة اموت وفي نفسي شيء من حتى، فانا اقول اموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات» .

ولا يسعني البحث عن تصنيف الاحياء والفاظه العربية بهذه العجالة . فقد نشرت رأيي في تلك الألفاظ في مقال مسهب يجده من يشاء في عدد نيسان ١٩٣٠ من مجلة المجمع العلمي العربي هذه وفي عدد نيسان (ابريل) سنة ١٩٣ من مجلة المقتطف . وقد بينت في ذلك المقال الفاظ التصنيف التي استعملها الدكتور بوست والدكتور

صروف والترك في مؤلفاتهم وعلي رياض في كتاب علم النبات والدكتور محمد شرف في معجمه ثم ادليت دلوي بين الدلاء ٠

ومن الفاظ التصنيف ما يكاد يكون عليها اجماع كالفاظ الفرد والضرب (او الصنف) والسلالة (او العرق) والنوع والجنس والفصيلة لما يسمى بالفرنسية على التتابع Individu و Variété و Race و Espèce و Genre و Famille ولم يشذ مجمع مصر فيها عن الاجماع ٠ اما ما شذ فيه فهي الفاظ جديدة غير موافقة لم يقل بها احد ممن ذكرت ولا غيرهم ٠ وهذه الألفاظ هي الأمة لما يسمى Embranchement والشَّعْب لما يسمى Classe والقبيلة لما يسمى Ordre (ج ٤ ص ٥٤)

قلت يلوح لي ان واضعي هذه الأسماء الثلاثة اي الأمة والشعب والقبيلة لم ينتبهوا على ما اعتقد لكونها شهرت بالدلالة على جماعات من الإنسان ، ولكون الانسان شيئاً صغيراً في سلسلة تصنيف الاحياء ، ولكون الأسماء الثلاثة المذكورة اخص في اللغة من لفظتي الجنس والنوع فكيف تستعمل في الاعم ؟ وما من احد في بلاد العرب كافةً له اطلاع على اللغة الفرنسية يغلط في ترجمة Nation بأمة و Peuple بشعب ، فاستعمالها في تصنيف الاحياء للدلالة على حلقتين كبيرتين مخالف للخطة التي ذكرها المجمع وهي عدم استعمال كلة لمعنى من المعاني المهمة اذا كانت مشهورة بالدلالة على معنى مهم آخر ٠

ويتضح مما ذكرت انه لايجوز لغوياً وعلمياً واصطلاحاً قبول الكلمات الثلاث للمدلولات المذكورة ٠ وليتصور من له اطلاع على علمي الحيوان والنبات ، وعلى دقائق التصنيف ، وعلى مدلولات الكلم العربية ، اي سقم واضح في مثل قولنا أمة باديات الزهر (او باديات الالقاح) وامة الفقاريات ، وشعب الثدييات ، وشعب ذوات الفلقتين ٠ وليتصور حقارة لفظتي الأمة والشعب اذا قسنا بعظمة مدلولات هذه الحلقات ، مع العلم بان الانسان نفسه ليس فيها سوى نوع من آلاف الأنواع ٠

وقد قال الدكتور بوست وعلي رياض قسم بمعنى Embranchement ٠ وقال صاحب معجم الحيوان قبيلة والدكتور شرف قبيل ٠ اما الترك فقالوا شعبة

وهكذا قلت انا . والشعبة اصح ترجمة للكلمة الفرنسية المذكورة . وقد دللت على ذلك في مقالي المشار اليه .

ولفظة Classe ترجمها بوست واساتذة الشام بلفظة صف . وقال صاحب معجم الحيوان عن الدكتور زلزل هي الطائفة والدكتور شرف هي القسم . اما انا فجاريت الذين اختاروا لها لفظة الصف لشيوعها عندنا بمعنى التلامذة الذين هم من سنة دراسية واحدة . ولو لم تشع الصنف مرادفة للضرب لجاز استعمالها هنا لأننا سمينا Classification تصنيفا .

اما Ordre فقد اجمع كل من ورد ذكرهم في هذا البحث على ترجمتها بالرتبة . ولم يشذ سوى مجمع مصر بقوله قبيلة .

(٢٣) — المشط والمسلفة والمملسة : في الصفحة ٥٨ من المجلد الأول ذكروا المسلفة وقالوا « نضعها للآلة تسوى بها ارض الشوارع وتحرك باليد » فنبهتهم في المقطم على ان المسلفة من الآلات الزراعية ، وانها جعلت للآلة المسماة Scarificateur (استعملتُ المسلفة لتلك الآلة منذ عشرين سنة في الطبعة الأولى من كتاب الزراعة العملية الحديثة) .

وفي الصفحة ١٨٢ من المجلد الثالث رأى المجمع ان يطلق « الكلمات الثلاث المملقة والمسلفة والزحافة على تلك الآلة التي يسوي بها الزارع ارضه بعد حرثها » . وفي ص ٤١ اقر المجمع المملقة والزحافة لما سماه Planche pour niveler والمسلفة امام Herse .

قلت ليس الذنب ذنب اخواننا في مصر اذا كانت أرضهم مسقوية لا تحتاج الى كثير من الآلات الزراعية التي تستعمل في البخوس والأعذاء الواسعة . ولا عيب عليهم اذا هم جهلوا بعض تلك الآلات . فالفلاحون بعد حرث الأرض يستعملون في تسويتها بضع آلات لا آلة واحدة . وأهمها ثلاث . وهي بالفرنسية Herse و Scarificateur و Rouleau . فالأولى تسمى المشط ، وقد جاء في المخصص انه شبجة فيها اسنان .. تسوى بها القصاب ويغطى بها الحب . واستعملتُ المشط منذ سنة ١٩١٨ يوم كنت مديراً للزراعة في الدولة . واقتبستها المدرسة الزراعية . واصبحت هذه الكلمة معروفة في انحاء الشام لا يستعملون غيرها للآلة المذكورة . وهي افصح كلمة واصلحها وأسهلها . والامشاط أشكال كالزاحفة والدائرة والمفصلية والكاربة الخ .

أما الآلة الثانية وتسمى أيضا Cultivateur فهي المسلفة والمسخفة ٠

وأما الآلة الثالثة اي Rouleau فهي المملسة والملاّسة ٠ وهي انواع مختلفة منها الاسطوانيات ومفتتات المدر والمخططات والمتماوجات والمملقات الخ ٠ ولكل منها اسم بالفرنسية ٠ وقد ذكرتها في معجمي ولا مجال للبحث عنها في هذه العجالة ٠

(٢٤) الخَضْب ٠ اليَخْضور — في ص ٨٧ من المجلد الأول سموا الكلوروفيل الخضير ٠ فنشرت في المقطم انني وضعت الخضير للعشب المسمى في زراعة الحدائق Gazon وان المَخضرة ارض ذلك العشب ٠ وقلت ان المادة الخضراء المذكورة هي الخضب ٠ وقد عدل المجمع عن الخضير إلى اليخضور وهذه الكلمة لا بأس بها ٠ لكن معنى الخضب اقرب الى مدلول الكلمة الافرنجية ٠

(٢٥) الغَرين : في ص ٤٣ من المجلد الرابع وضع الطمي امام Alluvion ٠ قلت الغرين والغِرْيَن اصلح ٠ ومن المترادفات بهذا المعنى او بما يقاربه التقانة والطلخ والمطخ (المخصص) ٠

(٢٦) المَصْرف — في ص ٤٣ من المجلد الرابع الصَّرف مقابل Drain والصحيح المصرف ٠ اما الصرف فهو Drainage ٠ وكان يجب الظن بان هذه الغلطة هي غلطة مطبعية ٠ ولكن كلمة الصرف جاءت مشكلة وهو سهو عجيب ٠

(٢٧) الدَّفيئة والمِصْرَى — في ص ٤١ من المجلد الأول المدفأة نطلقها على (الصوبة) التي تصان فيها النباتات المحتاجة الى الحرارة ٠ فقلت في المقطم : (الصوبة) في الشام موقد توقد فيه النار لاتقاء البرد ٠ فهل سمع احد ان النبات المحتاج الى حرارة يصان في موقد ؟ ان ما يريدونه على ما أظن القوالب او البيوت الزجاجية التي توضع على ارض زرعت فيها نباتات تحتاج الى حرارة زائدة ٠ فهذه تسمى بالفرنسية Serres والذي اعلمه ان الأب انستاس كان سمى واحدتها مصرى من صرى الشيء اي وقاه ونجاه ٠ والمصرى قريبة من اللفظة الفرنسية ٠ وهي اصلح من المدفأة لأن هذه الكلمة اذا لفظت بميم مكسورة يكون لها معنى آخر ذكروه في ص ٤٢ ، واذا لفظت بميم مفتوحة كانت اسم مكان على حين ان الكلمة الفرنسية تدل على

الأدوات الزجاجية التي يوضع فيها النبات المزروع لا على الأرض التي زرع فيها ذلك النبات » ·

وفي المجلد الثاني (ص ٩٧) عدلوا عن المدفأة الى الدَّفيئة · وهي حسنة · ولم يبحثوا عن المصرى ·

(٣٨) الأَصِيص والمِرْكن — في ص ٩٦ من المجلد الثاني · الأصيص (قصرية الزرع) — Pot à fleurs · قلت الأصيص هو بالفرنسية Pot ليس غير يزرع فيه الزهر وغير الزهر ·ويسمى المِركن · وسماه ابن العوام القدر والإجانة والقصرية ·

(٢٩) البَعوض والبَقّ والبرْغش— ج٠٤ص٥٧ البرغش Culex · قلت الكلمة الاعجمية هذه هي اسم الجنس العلمي للبعوض اي Moustique وهوالقرْقِس والجِرْجِس · وكلمة البعوض اشهر من كلمة البرغش · وكذا كلمة البق · فسكان العراق لا يعرفون غيرها · وهي فصيحة بهذا المعنى كما انها فصيحة بمعنى Punaise وهو الضَمْج وبق الخشب والفسافس وبنات الحصير · ومن المعلوم ان في فصيلة البعوض جنسا يسمي Anopheles فيه ما ينقل الملاريا فيجب إفراده باحد الأسماء ·

(٣٠) الثَوْل والخَشْرَم والقرْية — ج ٤ ص ٥٩ القرية Colonie · قلت لا مجال هنا للبحث عن اهم معنى للكلمة الاعجمية وهو ما يعبر عنه بكلمة مستعمرة · وواضح ان مايبتغونه معناها الذي يطلق على مجتمع الحيوانات · فالكلمة الأعجمية المذكورة لها معنيان وهما اولا جماعة الحيوان التي تعيش في صعيد واحد · ثانياً مجتمع هذه الجماعة اي المكان الذي تعيش فيه · فكلمة قرية تفيد المعنى الثاني لان قرية النمل مجتمع ترابها كما في المعاجم · اما اذا قيل Colonie d'abeilles مثلاً فالمراد جماعة النحل في النحيتة او الكوارة وهو بلساننا المبين الثول والخشرم · وإذا قيل Colonie de coraux فجماع نوامي المرجان · ولا يمكن تسميتها بقرية · بل يقال جِمَاع المرجان كما يقال جماع الإسفنج أو جماعته وهكذا ·

(٣١) هل يقال سِنَّور أسدي وسنَّور نَمري ؟ — من المعلوم في تصنيف الاحياء ان اسم النوع يكون في اللسان العلمي مؤلفاً من كلمتين الأولى تدل على الجنس

والثانية تدل على النوع . فكلمة Equus مثلا تدل على جنس فيه الخيل والحمير معًا . فاذا أُريد نوع الخيل قيل Equus caballus . واذا اريد نوع الحمير قيل Equus asinus وهكذا . ولفظة Equus مستعارة من اللاتينية ومعناها الفرس . ولكنها في لسان التصنيف العلمي قد تبدل مدلولها فهي فيه لا تدل على نوع الخيل وحده بل على جنس الخيل اي على حلقة تشتمل على الفرس والحمار والأخدري وغيرها ، وكل منها يتميز في التصنيف بكلمة خاصة تدل على نوعه .

اما في العربية فكلمة فرس تدل على نوع الخيل دون غيره ، ولفظة حمار تدل على نوع الحمير دون غيره . فلا يجوز لنا ان نسمي الحمار بالفرس الحماري ترجمة لاسمه العلمي Equus asinus . ولسنا في حاجة الى هذه الترجمة التي لا نرى لها مثيلا في الفرنسية كلما كان للنوع اسم واحد مشهور .

وعلى هذا لا يجوز تسمية الأسد بالسنور الاسدي والنمر بالسنور النمري ، والثعلب بالكلب الثعالي الخ . وان وضعت بين هلالين . (ج ٤ ص ٥٢) . وكلما كان لأحد الأنواع اسم عربي واحد مشهور يكتفى به بدلا من ترجمة اسم النوع العلمي المركب من كلمتين . وهكذا الحال بالفرنسية .

(٣٢) هل الكُرُنب عامية ؟ — (م ٢ ص ١٣٦) حاشية «وهي كُرُنْب وكَرَنْب والعامة في مصر يقولون كُرُنْب» . قلت الكرنب في اللغة وفي استعمال المصريين هو Chou بالفرنسية وملفوف بالشام . اما الشاميون فيطلقون الكرنب على Chou - rave واسمه ابو ركبة في مصر . وقد ضبطت لفظة الكرنب في اللسان وفي القاموس بكاف وراء مضمومتين ونون ساكنة . فكيف ذهبوا اذن الى ان هذا الضبط من كلام العامة ؟ ذلك أن صاحب التاج قال في شرحه للقاموس : «الكرنب بالضم اي كقنفذ كما يفهم من ضبطه وهكذا قيده الصاغاني وقد أهمله الجوهري وقال ابن الاعرابي هو الكرنب كسمند قلت والعامة تضمه الخ» . واصحاب المعاجم الحديثة كمحيط المحيط واقرب الموارد والبستان نقلوا عن التاج ، فمنهم من اهمل ذكر الكرنب بضم الحرفين الأول والثاني واسكان النون ومنهم من نص على انها من كلام العامة . قلت ليس لدي

مخطوطات مشكولة للامهات من معاجمنا لكي اعرف هل غلط طابعو القاموس واللسان عندما ضبطوا هذه الكلمة على الوجه الذي تلفظ به في مصر والشام ام لا . والشيء الثابت ان اصحاب المعاجم عرّفوا الكرنب بالسلق وهو وهم لا يقع فيه ابن البيطار وأشباهه . وقالوا انها من النبطية على حين انها من Krâmbê اليونانية . وليس بغريب ان يعربوها بكلمة كَرَنب مفتوحة الكاف والراء او كُرُنب مضمومتهما ، اما ما يستغرب فهو تعريبها كُقُنْفُذ . ومهما يكن من امر فعندما نقر هذه الكلمة يجب قبول الضبط المشهور وعدم التقيد بما ذكره الزبيدي عن عامية هذا الضبط . ويجب ايضاً تفريقه عن السلق فمن اشنع العيوب الخلط في تسمية اعيان المواليد .

(٣٣) أثار يُثير — (م ٢ ص ١٥٩) وضع امام هذا الفعل كلمة Irritable والصحيح بالفرنسية Irriter اما الكلمة الاولى فمعناها القابل لان يثار كما ورد في الصفحة ١٥٨ .

(٣٤) تعريف الحَوْراء — في (م ٢ ص ١٦٩) عرفت الحوراء او العذراء Nymphe بما يلي : « اسم للحشرات او الديدان او القشريات او الضفادع عقب خروجها من البيضة ، وقبل ان تستبين فيها خلقة اسلافها الكاملة » . والذي نعلمه في كتب الحشرات (وفي معاجم المواليد الفرنسية) ان الحوراء طور انتقالي للحشرات بين اليرقانة والحشرة الكاملة . ومعنى ذلك ان ما يخرج من البيضة يسمى Larve اي ما سماه المجمع يَرَقانة (وهو القَمصة في الجراد) . وهذه اليرقانة (او الدعموص) تنسلخ وتنقلب حوراء . ثم تنشق الحوراء في منتصف ظهرها ، في الاعم من الحالات ، وتخرج منها الحشرة الكاملة . فتعريفهم للحوراء (اي قولهم عقب خروجها من البيضة) فيه غلط واضح .

(٣٥) الأُسرُوع والخادِرة — ليرقانة الفراشة اسم خاص بالفرنسية وهو Chenille، ولحوراء الفراش اسم خاص أيضاً وهو Chrysalide . فالاولى تنظر إلى Larve في الحشرات الأخرى والثانية إلى Nymphe . وفي (م ٢ ص ١٣٧) ترجمت Chenille بكلمة يُسروع وهي حسنة وان كانت تدل على حشرة بعينها ،

واحسن منها أُمْروع لان الجمع أساريع . ولم يقولوا يساريع . ولعل احسن منهما السُّرْفة لرشاقتها (انظر المخصص ج ٨ ص ١٢٢) . وفي (م ٢ ص ١٧٦) ذكرت الخادرة وامامها (Pupa (Or Chrysalis . قلت الخادرة حسنة يجب ان تخص بكلمة Chrysalide اما كلمة Pupe فهي بالفرنسية مرادفة لكلمتي Nymphe و Chrysalide معًا لا للثانية وحدها فليتنبهوا إلى ذلك .

(٣٦) الجنين والملقوحة — (م ٢ ص١٤٨) الجنين Embryo . قلت الجنين هو Foetus اما كلمة Embryon فيجب ان تفرد لها كلمة اخرى في النبات على الاقل ، واصلح الكلم تلك التي وضعها العالم العرقي الدكتور داود بك الجلبي وهي الملقوح والملقوحة . ولا شك انها ارجح من الجنين في النبات خاصة . ويمكن اطلاق الفوف ايضًا على ملقوحة النبات (انظر تعليل ذلك في مقال الدكتور امين باشا المعلوف المنشور في عدد حزيران سنة ١٩٢٨ من مجلتنا هذه) . وبعد هل الأرجح ان يقال علم الأجنة بمعنى Embryologie ام علم الملقوحات وعلم الملاقيح ؟ لاريب ان التعبير الثاني اصلح . لكن الأول اصبح مشهورا في مدارس الطب ، ولهذا وجب متابعة ما أقره مجمع مصر في هذا الباب (ج ٤ ص٥٠) لان مشتقات الأنبريون المذكورة اكثر ما تستعمل في الانسان وفي الحيوانات الدواجن .

(٣٧) المَمص والمثعب — (م ٢ ص ٧٧) المثعب Siphon . قلت في المعاجم مثاعب المدينة مسايل مائها . ومعناه المجاري التي تسيل فيها مياه الامطار والمطابخ والمراحيض . ومن المعقول ان توضع المثعب امام Egout وهذا ما فعلته في معجمي حيث قلت Eau d' égout ماء المثاعب .

اما السيفون فقد درجوا في المدرسة الطبية بدمشق على تسميته بالممص . وهكذا اسماه الدكتور محمد بك شرف في معجمه . وهي تسمية حسنة . واذا اعترض عليها بان الممص يجب ان تطلق على Suçoir اي العضو الذي يستخدمه الطفيلي عندما يتشبث بمضيفه ، اجبنا بان البعد بين المدلولين يمنع الالتباس . ومع هذا فان عندنا كلمة مِرْشف بمعنى Suçoir في النبات والحيوان . ومهما يكن من امر فانا لا أرى

وجها لاطلاق المثعب على السيفون . وقد يكون السيفون في المخابر اداة زجاجية صغيرة لا تتجاوز عشرين سنتيمترا فاين هي من مسيل مياه المدينة ؟

(٣٨) الإرْبيان وَجراد البحر وَسرطان البحر ومسرطان النهر والسرطان المعروف — . في (ج ٤ ص ٥١) : جراد البحر — الإربيان Crayfish . قلت لا أعرف مدلول الكلمة الانكليزية لأنني اكاد اجهل هذه اللغة . ولكن هنالك خمسة أنواع من القشريات العشارية الأرجل يخلطون بعضها ببعض في التسمية ، ولهذا رأيت من الفائدة ذكر ما أسميتها به في معجمي :

(ا) Crevette هو الإربيان والروبيان ويسمى الجمبري في مصر والقرَيدس في الشام . وهو اجناس وانواع اشهرها في سواحل الشام تنسب الى جنسي Leander و Poeneus .

(ب) Langouste وبلسان العلم Palinurus Vulgaris هوجراد البحر (المفردات) وجراد بحري (حياة الحيوان) وتحليته فيها يدل على انه غير الإربيان وإن جُعلا واحداً في مفردات ابن البيطار .

(ج) Homard وبلسان العلم Homarus vulgaris نسميه سرطان البحر

(د) Ecrevisse de rivière وبلسان العلم Astacus fluviatilis هو سرطان النهر

(ه) Crabe هو السرطان المعروف وله اجناس وانواع لا تختلف في مجمل شكلها

(٣٩) كتابة الاسماء الأعجمية — وضع المجمع لكتابة الأعلام الأعجمية قواعد استمدها من بحثي الدكتور امين باشا المعلوف والدكتور احمد بك عيسى ، ولكنه لم يتقيد بهذه القواعد . ولم يتقيد الشارحون بها في كثير من المواضع . مثال ذلك ان المجمع اقر مقابل حرف G [كما يلفظ في القاهرة] حرف الكاف العربي فوقه ثلاث نقط [ج ٤ ص ١٩] او حرف الغين [ج ٤ ص ٣٦] . ومع هذا رأينا المجمع يرسم Goethe بالجيم اي جوتة في صلب القرار نفسه [ج ٤ ص ٢٠] ثم وجدناه يرسمه كوته بكاف فوقها ثلاث نقط وذلك في الصفحة التالية . وفي [ج ٣ ص ١٣١] أوريجون مقابل Oregon وفي ص ١٣٦ الڤولجا امام Volga الخ . والاصلح في هذه الكلم واشباهها رسم حرف g بالغين . ولينتبه اخواننا في القاهرة الى انه

لايوجد في العالم العربي [حتى في بعض انحاء مصر] من ينكر الجيم العربية المعطشة ويلفظها مثلهم . فشذوذهم لا يتخذ قاعدة . ومع هذا لقد رأينا بعض الادباء في مصر يرسمون حرف G الأعجمي جيما في وسطها ثلاث نقط . وربما كان هذا الرسم اجود من الكاف فوقها ثلاث نقط خلافا لقرار المجمع .

(٤٠) الشحم والدهن والزيت — في [م ٤ ص ٢٤] زيت الخشخاش Huile D'oeillette وزيت الكتان Huile de lin والدهن Grease ، وفي [ج ٢ ص ١٨٥] المواد الدهنية بمعنى Matières grasses . قلت العرب تقول دهن الخشخاش ودهن الكتان ودهن البنفسج ودهن الورد الخ . اما الزيت فدهن الزيتون وحده . واما في الحيوان فما تسميه العامة الدهن هو الشحم والألية فيقال اذن فيها مواد شحمية لا دهنية [انظر بحث الدكتور امين باشا المعلوف في هذه الالفاظ في عدد حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٦ من المقتطف ، وبحث الأب انستاس ماري الكرملي في عدد آذار سنة ١٩٤٢ من مجلة المجمع العلمي العربي] . ومهما يكن من أمر فاذا كان مجمع مصر يريد الخروج عن المعاني المدونة لهذه الكلمات فليشر الى ذلك بنص صريح . فانا مثلا لا اكره ان يشمل معنى الزيت عصير غير الزيتون من النباتات الدهنية . ولا اكره ان يقال لها نباتات زيتية بمعنى دهنية كما لا اكره ان يقال لألية الضان دهنا . وقد استعملت هذه الالفاظ في كتبي الزراعية لاشتهارها مع علمي بالصحيح وغير الصحيح منها .

[٤١] الشَطْء غير الجرثومة . — ج ٤ ص ١٤ : وضعوا الشطء والجرثومة مقابل Germe . قلت الشطء بالعربية إما فرخ الشجر كالشَكير والعِقّان وبالفرنسية Drageon واما فرخ الزرع الذي يحصل في بدء الربيع كما في الحنطة والشعير وامثالها ، وهو بالفرنسية Talle . والإشطاء يسمى Tallage و Tallement . وقد كتبت في معجمي امام هاتين الكلمتين الفرنسيتين : إشطاء [وهو حصول سوق عرضية من براعم جانبية تنشأ في ساق الزرع الأصلية . وعكسه السَمْهرة ، ففي القاموس : سمهرَ الزرعُ لم يتوالد كأنه كل حبة برأسها] . فأين اذن الشطء من الجرثومة ؟

[٤٢] الجمع والمفرد . — كتبوا بعض الأسماء الانكليزية او العلمية بالمفرد ، وجعلوا أمامها الكلم العربية بالجمع . وهو شيء لايجوز . مثاله المجاري الشهيقية Inhalant canal والخلايا الراصفة Pavement cell والرَّغويات Plasmodium الخ والصحيح مجرى الشهيق وخلية راصفة ورغوي او رغوية . وهكذا في امثالها وهي كثيرة فلينتبهوا الى اصلاحها .

[٤٣] الإسفنج الكلسي . — ج ٤ ص ٥٨ : وضعوا أمام الإسفنج الكلسي لفظة Calcareous . والذي نعرفه ان هذه اللفظة معناها كلسي فأين الكلمة الاعجمية الدالة على الإسفنج ؟

[٤٤] خيشومية الاقدام . — ج ٤ ص ٥٨ : ترجموا Branchiopode بقولهم الخيشوميات الأطراف ، والصحيح خيشومية الأقدام اوالأرجل اوالأيدي . وقد سمى العلماء هذه الحيوانات المائية بهذا الاسم لأن لها اعضاء عريضة هي ارجل وخياشيم جميعا اي انها تصلح للتنفس وللحركة .

[٤٥] غلطات مطبعية — عثرت في المجلة على عدة غلطات مطبعية . فيجب ان يصلحوها اي ان يفتحوا في المجلة بابا للخطأ والصواب كما نفعل في آخر عدد من اعداد السنة في مجلتنا هذه . وهاكم على سبيل التمثيل بعض هذه الغلطات : ج ٤ ص ٥٢ Canis lupos والصحيح Canis lupus . ج ٤ ص ٥٣ Mallusca والصحيح Mollusca ج ٣ ص ١٦٤ Melabolism والصحيح Metabolism . ج ٢ ص ١٨٣ البُوغ والصحيح البَوْغ . ج ٤ ص ١٦١ المقلقة للراحــلة والصحيح المقلقة للراحة الخ . ولا شك ان طبع المجلة متقن وحروفهــا جميلة . ولكن عندما يسهو المصححون عن غلطات كهذه وهي كلها في العناوين يكون من الواجب الاشارة الى صحتها .

هذا قسم من الالفاظ التي خالفت فيها رأي مجمع فؤاد الاول للغة العربية أو رأي لجــانه او رأي مستشاريه . ولدي الآن عشرون لفظة أخرى لا أدري متى يتسع وقتي لذكر اوجه الصواب فيهافي هذه المجلة . ويتضح للقارئ ان الألفاظ التي تكلمت عليها

تكاد تكون كلها من باب واحد وهو باب الالفاظ المستعملة في علوم الاحياء . ومعظم الكلمات التي اقروها في هذا الباب معروفة لا يختلف اثنان في الكلم الافرنجية التي تنظر اليها . وهي موجودة في المعاجم الاعجمية العربية كلها كالتنفس والوظيفة والهضم والمضغ والمواد السكرية والمواد النشوية والزهرة والثمرة والورقة والحبة والبزرة والعضو والحواس والسنور والكلب والاسد والثعلب الخ . وليس ثمة صعوبة في ذكرها وفي اقرارها . أما الصعوبة ففي آلاف الالفاظ والمصطلحات التي لم يهتد اليها الباحثون منا ، او التي لاقوا عرق القربة في تلمس اوجه الصواب فيها . فمتى يتناولون هذه الآلاف المؤلفة من المصطلحات في العلوم الطبية والعلوم الزراعية والعلوم الهندسية والعلوم الطبيعية والعلوم الحقوقية وغيرها من العلوم والفنون والفلسفة والادب ؟ ولكي يدرك القارئ عظم شأن العمل الذي امام المجمع اذكر له مثلاً صغيراً واحداً وهو ان في معجمي المسمى [معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) تسعة آلاف لفظة امحصها وأحققها منذ عشرين سنة في كل فرصة ، ولم يتناول المجمع منها في مجلداته الأربع اكثر من خمسين كلمة مما له صلة بالاحياء الزراعية . اما الكلمات الزراعية المحضة فلا تتجاوز فيها خمساً وهي Herse و Baratte و pot و Rouleau و Serre . وقد غلط فيها كلها . وبعد لأي وتنبيه في المقطم اهتدى الى كلمة دفيئة الموافقة لمدلول كلمة Serre . فمتى يتاح لي الاستفادة من جهود المجمع في ثمانية آلاف وتسعمائة وخمسين اللفظة الباقية ؟

ومما يلاحظه كل قارئ كون الالفاظ توضع في المجلة دون اي قيد من القيود . فلا هي مقيدة بحروف المعجم ولا هي مقيدة بالابحاث . ففي الكلمات المتصلة بعلوم الاحياء مثلاً تجد كلمة من علم النبات وبجانبها كلمة من علم الحيوان ثم ثالثة من علم الحياة ثم رابعة من علم وظائف الاعضاء وهكذا . واذا أردت التفتيش عن الكلمات المختصة باجزاء الزهرة مثلاً وجب ان تراجع جميع الصفحات المختصة بعلوم الاحياء لكي تعثر على ضالتك . وأقرب طريقة الى المنطق في وضع المصطلحات العلمية ان يعمد المرء الى بحث من الابحاث فيضع المصطلحات المتعلقة به ثم

ينتقل الى بحث آخر وهكذا . وقد اتبع المجمع هذه الطريقة في مصطلحات الالوان ومصطلحات الرسم . واتبعها الدكتور امين باشا المعلوف في المصطلحات النباتية التي نشرها في هذه المجلة ، واتبعتها انا فيما نشرته فيها وفي المقتطف من الالفاظ بعناوين مختلفة منها [اسماء الثمار النباتية] و [اسماء الآلات الزراعية] و [الوان الخيل وشياتها] و [اسماء التصنيف في الحيوانات الدنيا و [اسماء الغيوم] و [اسماء عربية لمعان زراعية] الخ .

وبعد هيهات ان يجول في بالي التعرض للعلماء الاعلام الذين يتألف منهم مجمع فؤاد الأول ، ولا للعمل الجليل الذي يضطلعون به فقد خدموا كثيراً بالقواعد التي وضعوها في تيسير اللغة وبعدد لايستهان به من المصطلحات الحسنة . وانما احاول ان ابين رأيي في مصطلحات حققتها ، وفي اصلح طريقة يزداد في اتباعها نفع المجمع ، وهو ما أشرت اليه في اول هذا البحث .

مصطفى الشهابي

القيصر وامرؤ القيس

لا جدال في ان تاريخ الأدب العربي القديم لم يحفل بشاعر كما حفل بامرئ القيس ، فاكثر من ذكر اخباره وحوادثه ، وافرد له مكانا لا يرقى اليه غيره من الشعراء ، لانه حامل لوائهم وسابقهم الى اشياء ابتدعها ومحاسن ابتكرها ؛ على ان الشعر كان ادنى وسائله ، فقد نشأ في بيت من بيوتات الامارة ، وقتل ابوه وهو بعيد عنه ، فنهض يطالب بثأره ، وقضى شطر حياته يطوف الآفاق في محاولة الملك وطلب المجد ، حتى اخلف ظنه ما كان يرتجيه ورضي من الغنيمة بالإياب ، فمات بمضيعة بعيداً عن اهله ووطنه وقومه ، وانتهت بذلك ملحمة الملك الضليل التي نحاول في هذه الصحائف ان نكشف القناع عن بعض نواحيها الغامضة واحاديثها المتعارضة .

* * *

اجمعت كتب الادب والتاريخ على ان امرأ القيس بعد ان اوقع ببني اسد طلبا لثأر ابيه حاربه المنذر بن ماء السماء اللخمي والب عليه العرب ؛ وقد شد أزره كسرى انوشروان لأحداث نقمها على الحارث بن عمرو عم امرئ القيس الذي حالف قباذ واجابه على ما يقال الى زندقة مزدك ؛ فاصبح امرؤ القيس في خلل من قومه ، واخذ ينقلب في احياء العرب بعد ان انفضت عنه جموعه وتنكرت الوجوه له ، حتى كاد يسلمه الى عدوه من يأوي اليه ويحتمي بحماه ، فدلوه على بلد يلجأ اليه ويمنع ضعفه ، وصاحبه في حصن حصين وحسب كبير ، وهو السموءل بن عاديا الذي يعجبه الشعر ويهتز للمكارم ؛ وقد وصف رواة الأخبار اخلاقه وشعره ، فجعلوا اخلاقه ممثلة في شعره ، وجعلوا شعره صورة من صحة موثقه ورعاية ذمته ؛ وكان من امره ان احسن رفد امرئ القيس وحفظ ما ائتمنه عليه حتى ادى ذلك الى قتل ابنه ؛ وقد كتب الى الحارث بن أبي شمر الغساني يوصيه بامرئ القيس ويسأله ان يوصله الى قيصر ؛ فاستصحب معه شيخاً كبيراً طوى مراحل الحياة ، وهو عمرو بن قميئة البكري الذي اعجبه شعره فاختاره لصحبته ؛ وقيل انه

استصحب سواه كالحارث بن حبيب السلمي الذي رثاه امرؤ القيس وذكر انه ثوى عند بصرى ؛ او جابر بن حني التغلبي الذي له شعر في مقتل عمه شرحبيل ؛ ونقل الرواة اشعاراً نظمها امرؤ القيس وابن قميئة في هذه الرحلة ؛ وقد اكرم قيصر الروم امرأ القيس وادناه منه ، واجابه الى طلبه فامده بجيش كثيف ، فيه جماعة من ابناء الملوك ؛ ولما فصل الجيش قال لقيصر قوم من اصحابه : ان العرب قوم غدر ، ولا تأمن ان يظفر بما يريد ، ثم يغزوك بمن بعثت معه ! فصرف الجيش وأعاده ؛ وفي رواية اخرى ان رجلاً يقال له الطماح من بني اسد كان واجداً على امرئ القيس لأنه قتل اخاه فيمن قتل ، فاندس الى القيصر ، وقال له ان امرأ القيس رجل عاهر ، وانه لما انصرف ذكر انه يراسل ابنتك ، وهو قائل في ذلك شعراً يشهرها به ، فبعث اليه حينئذ بحلة منسوجة من الذهب ، واودعها سماً قاتلا ، وكتب اليه : اني ارسلت اليك حلتي التي كنت البسها تكرمة لك ، فاذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة واكتب الي بخبرك من منزل الى منزل ، فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها ، فاسرع فيه السم وسقط جلده ، ولذلك سمي ذا القروح ، ومشهور الرواية انه مات بانقرة ودفن فيها .

هذا هو مجمل ما كتبه مؤرخو العرب عن رحلة امرئ القيس الى قسطنطينية وقد اشار بعض مؤلفي الفرنجة الذين عنوا بالأدب العربي الى هذه الرحلة ، وذكر نيكولسن المستشرق الانكليزي ان القيصر سمى امرأ القيس بطريقاً ؛ وقد جاء في شعراء النصرانية للأب لويس شيخو ان مؤرخي الروم مثل نونوز ويركوب (وهو صاحب التاريخ السري) ذكروه في كتبهم وسموه قيساً ؛ وذكروا انه قبل وروده على القيصر يوستيانس ارسل اليه وفداً يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق ، وكان مع الوفد ابنه معاوية الذي سيره امرؤ القيس ليبقى رهينة لديه ، فكتب القيصر الى النجاشي يأمره ان يجند الجنود ويسير الى اليمن ويعيد الملك لصاحبه ، ولم يلبث امرؤ القيس ان سار بنفسه الى القسطنطينية فرغبه قيصر ووعده ، ثم قلده امرة فلسطين ، الا انه لم يسع في اصلاح امره واعادة ملكه فضجر

امرؤ القيس وعاد الى بلده ، وكانت وفاته نحو سنة ٥٦٥ (وهي السنة التي مات القيصر في آخرها) اصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته .

ونقل صاحب شعراء النصرانية أيضاً عن كتاب قديم مخطوط (؟) ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس امر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه وقد بقي هذا التمثال الى ايام المأمون ، فشاهده هناك عند دخوله بلاد الروم في احدى غزوات الصائفة ، وهذه الرواية تعارض ماهو مشهور من وجود قبر امرئ القيس في انقرة التي لا تقع على طريق غزوات الصائفة ؛ على ان الشعر الذي روي عن امرئ القيس وفيه ذكر عسيب ، والسجع الوحشي المتنافر الذي اورد فيه اسم انقرة ، كلاهما بعيد عن منطق العرب الأصيل وعن اقوال الفصحاء امثال امرئ القيس ؛ ويحسن بنا ان نروي ابياتاً اخرى لامرئ القيس وان لم تكن من عيون الشعر الا أنها تشير الى هلاكه في ارض الشام ، وهي تناقض كذلك الرواية المشهورة ، وفيها يقول :

الا ابلغ بني حجر بن عمرو وابلغ ذلك الحي الحديدا
باني قد هلكت بارض قوم سحيقاً عن دياركم بعيدا
اعالج ملك قيصر كل يوم واجدر بالمنية ان تقودا
بارض الشام لا نسب قريب ولا شاف فيسند او يعودا

* * *

والى جانب قصة امرئ القيس فقد نقل رواة الاخبار أحاديث كثيرة عن السموءل بن عاديا وعمرو بن قميئة ؛ والشك قديم في بعض قصة السموءل ان لم يكن في جميعها ، حتى ان صاحب الاغاني عد بعض القصائد التي اسندت لامرئ القيس في هذه القصة منحولة ، لأنها لاتشاكل كلامه ، والتوليد فيها بين ؛ وقد صنعها دارم بن عقال من ولد السموءل او من روى عنه ... وكذلك فان الذين تحدثوا بهذه القصة العجيبة وتناقلوا روايتها لم يتفقوا على اسم الشخص الذي حاصر السموءل وقتل ابنه : ففي رواية انه الحارث بن ابي شمر الغساني ، وفي رواية ثانية انه الحارث بن ظالم الذي

بعث به المنذر لانتزاع امانة امريء القيس من السموءل ؛ ومن الغريب ان تسند هذه الحادثة الى الغسانيين واللخميين في آن واحد ، وبينهما من الأحن القديمة ما بينهما ؛ كما ان المنذر كان يتابع امرأ القيس حتى جعل الارض في عينيه أضيق من كفة حابل ، وان الحارث الغساني هو الذي أنفذه الى قيصر الروم اجابة لملتمس السموءل الذي يمت اليه بالقرابة .

أما عمر بن قميئة فيستغرب في أمره ان امرأ القيس اختاره لصحبته بعد أن نيف على التسعين ، فمات معه في الطريق ، وسمته العرب الضائع لموته في غربة ، وفي غير ارب ولا مطلب ، وكانت حاجة امريء القيس لرجل جلد يقوى على مثل هذه الرحلة ، وقد وصف الديار التي مر بها وصفاً يقصيها عما قاله امرؤ القيس في قصيدته الرائية ، وذلك بقوله :

قد سألتني بنت عمرو عن الـ ـم أرضين اذ تنكر اعلامها
لما رأت ساتيدما استعبرت لله در اليوم من لامها
تذكرت ارضا بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها

وساتيدما جبل بين ميافارقين وسعرت .

* * *

هذه الاحاديث وأشباهها مما حمله الرواة قبل تدوين التاريخ ، كثيراً ما يدفع بعضها بعضاً حتى تتجاذب الباحثين فيها الشكوك ، واذا لم تنطق بصحتها الدلائل فانها تعد منحولة مدخولة ومولدة مصنوعة ، ولكن لا يجوز الامراع في الرد والانكار قبل تناصر الحجج وقيام البراهين ، حتى لا يبطل بغير حق كل ماوعاه التاريخ من تلك الاحاديث العريقة في القدم ؛ واضرب لذلك مثلاً قصيدة أمية بن ابى الصلت التي هنأ بها سيف بن ذي يزن باسترجاع ملكه ، وذكر فيها ما ورد من استنجاده بكسرى انوشروان بعد ان اخلف قيصر ظنه ، ولكن الشاعر بدلاً من أن يذكر اسم قيصر ذكر هرقل ، على حين ان هرقل والأسرة الهرقلية لم يكونا قبل سنة ٦١٠ للميلاد ، وهذا التاريخ يبعد عشرات السنين عن أيام كسرى انوشروان

الذي أرسل جيشاً لاخراج الحبشة من اليمن ، ولعل واضع البيت ظن اسم هرقل عاماً كاسم قيصر ! وكذلك فقد غاب عنه ان الحبشة حلفاء الروم وأبناء ملتهم !

وهذا بعض ما ورد في قصيدة ابن ابي الصلت :

ليطلب الوتر امثال بن ذي يزن خيم في البحر للاعداء احوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي قالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد سابعة من السنين لقد ابعدت قلقالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا

وقد عالج هذه المواضيع الاستاذ طه حسين الذي هو أحد أئمة الأدب في هذا العصر وسلك طريقة غريبة في تمحيص روايات الجاهلية وأشعارها ، فأطلق لنفسه العنان في كتاب الادب الجاهلي وخرج عن قيود المألوف وتقاليد العادة ، وانكر في جملة ما أنكره حديث رحلة امرئ القيس الى القسطنطينية وما الحق بها من أخبار السموءل وعمرو بن قميئة ، واستضعف القصائد التي رويت فيها عن امرئ القيس ، وهي بحق دون طبقته في الشعر ، وتساءل كيف سافر الى بلاد الروم ؟ وهل دلت أشعاره على علم بالطريق ؟ و كيف خالط قيصر حتى فتن بنته ؟ ولماذا لا تجد في شعره أثراً من مظاهر الحضارة اليونانية ، ولا وصفاً لقصور القسطنطينية وكنائسها ، ولا ذكراً لهذه الفتاة الامبرطورية التي شغفت حبّاً به ؟ وقد تخلص من شكوكه وريبه الى القول بأن منشأ القصة يرجع للسياسة والعصبية ، ولا يعدو ما كان يرويه القصاص الذين يعملون لآل الاشعث من أحاديث أولهم ومفاخر قبيلتهم كندة التي كانت لها منزلة كبيرة في الحياة الاسلامية فاقتبسوا ما انتحلوه لامرئ القيس من سيرة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الذي غلبه الحجاج في دير الجماجم ، فحمله على الالتجاء الى ملك الترك والاستعانة به ، وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحجاج فمات عائذاً في طريقه .

هذا هو الرأي الذي وجد الاستاذ طه حسين من اليسير ان يفترضه بل من الراجح ان يقول به ، فجعل حياة امرئ القيس مثلا استحدثه القصاص من حياة

عبد الرحمن ارضاءً لهوى اليمانيين في العراق ، واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاءً لعمال بني أمية ، ولكنه رأي املاه على صاحبه خيال فسيح أمعن به ، وتقلب بين احنائه ، وأخذ ما شاء منه لتأييد حجته ، واذا كان شديد الوطأة في نقد سواه من الذين يتأثرون بالاوهام والتقاليد ، فما باله يقع في مثل ما وقعوا به عندما لجأ الى هذا الاستدلال العجيب الذي لا يخلو من افراط واعتساف ، بل نقول من هوى يقود في الغالب الى خطأ الرأي ومغالطة الحجة ؟ ولعله أقرب للصواب ان يبحث موضوع رحلة امرئ القيس من وجوه أخرى ، ولا سيما بعد ان جاءت روايات عن المؤرخين اليونانيين تؤيد ما ذهب اليه رواة العرب فيما يتعلق بالرحلة من حيث الأساس اذا لم يكن من حيث التفصيل .

* * *

ان سياسة القياصرة كانت ترمي الى بسط نفوذهم في بلاد العرب ، واصطناع بعض امرائهم في اليمن والشام ، تلك البلاد القائمة على طريق الهند الذي لا يبرح موضع تنازع الدول ، وقد جعلت فتوحات الاسكندر شعوب الشرق متصلة بشعوب الغرب ، وقضت سياسة التنازع على الدولتين العظيمتين فارس والروم ان تبذلا جهودهما في التوثق من السيطرة على منتجات الهند وأسواقها ، فالأولى قابضة على تجارة الهند ، والثانية تسود في بحر الروم وفي الشام ومصر ، وكانت أطماعهما المتعارضة تدفعهما الى الحرص على نمو متاجرهما وعلو سلطانهما وانتشار آدابهما وثقافتهما واتخاذ الاولياء والانصار في الشرق ، فأعان الاكاسرة على تأسيس مملكة عربية من لخم في مدينة الحيرة ليكون أبناؤها حماة لثغور الفرس من غارات العرب أنفسهم وأعواناً في مقاتلة الروم ، وكذلك صنع القياصرة في استعمال أبناء جفنة في أطراف الشام ، فكان المناذرة والغساسنة يؤازرون الروم والفرس ويشتركون في حوادث جسام تجري فيها ، وما استنجاد امرئ القيس بقيصر لمقاتلة اللخميين حلفاء الفرس ، الا كاستنجاد سيف بن ذي يزن بكسرى لمقاتلة الحبشة حلفاء الروم ،

وكل ذلك ينطبق على سياسة الدول وتقاليدها في تلك الايام بل على سياستها وتقاليدها في هذه الايام .

ويجدر بالذكر ان حفاوة القياصرة بامراء العرب ظلت متصلة بعد الاسلام ، وان كانت قد ارتدت طابعاً آخر ، فقد ذكر مؤرخو الدولة البزنطية من الفرنسيين نقلا عن كتاب المراسم اليوناني ، ان القياصرة كانوا يعطفون على العرب ، لانهم اصحاب ادب ولطف وحضارة وسلطان ، واصول الحكم عند الفريقين متشابهة ، لذلك كانوا يضعونهم — كما قال رامبو المؤرخ الفرنسي — فوق ابناء دينهم الغربيين الجفاة ، ويستقبلون رسلهم بكلمات وصيغ لا يتخذون مثلها في مخاطبة رسل الفرنجة .

* * *

وامرؤ القيس صورة من صور ذلك المجتمع العربي في جاهليته ، الذي وصفته لنا المعلقات في عيشه وظرفه ومروره ودهائه وخفته وخلاعته وعبثه ورقته وحرصه وطموحه ، ومغالاته في حريته ، وامتناعه على من يريد ان يخضعه لحكمه ، فلا غرو اذا سمت به همته الى الاستنجاد بقيصر ، ولا غرو اذا قبله قيصر واكرم مثواه ، ووجود بعض النواحي الغامضة والحوادث المتشابهة وفقدان بعض التفاصيل وضياع بعض الأوصاف ، كل ذلك لا يسوغ لنا ان نحكم على هذا الحديث بانه من الاساطير ، واذا كنا اميل الى القول بصحة رحلة امرئ القيس الى القسطنطينية ، فاننا على ذلك لا نسلم بما ادعاه مؤرخو العرب من اسباب عدول قيصر عن امداده وايقاعه به ، خشية من غدره او لما وشى به واش من علاقته بابنته ، فذلك من اوهام الرواة ومحدثاتهم التي تنكرها الوقائع وتأباها طبيعة الأشياء ؛ وكيف يخشى القيصر في امبرطوريته العظمى مدداً انفذه لمناصرة امير عربي ان يعود الى غزو بلاده بقيادة هذا الأمير بعد ان يكون قد اصاب غايته ؟ أما الرواية الثانية التي تعتمد على ماقيل من دسيسة الطماح وكيده لامرئ القيس في دعوى ابنة القيصر ، فهي أضعف من الأولى واكثر باطلاً ، بل هي حديث مفترى لا يؤبه له ، ويكفي أن القيصر يسطيانس الذي ينبغي ان يكون قصده امرؤ القيس لم يكن له ولد من ذكر وانثى ، وما

هذه القدرة السحرية للطماح الذي جاء من أقصى الجزيرة ليكيد لامرئ القيس حتى استطاع أن يحمل القيصر على الاصغاء لوشايته والايقاع بعدوه !

على ان استنكاف القيصر عن امداد هذا الامير العربي الموتور ، الذي لاتخمد قوادح ضغنه ، ولا يستقر على قرار في الطلب بثأره ، قد يرجع الى أسباب تتعلق بسياسة الدولة ومصالحها العليا ، فقد كان هذا القيصر مهادنا لكسرى انوشروان في معظم ايام ملكه ، يبذل له الجزية ويسلم بغلبته في الشرق ، وهو منصرف كل الانصراف الى توطيد سلطانه في العاصمة البزنطية وما حولها ، ثم في سائر الأجزاء الغربية التي كانت تهددها عصائب البرابرة وتنتقصها من اطرافها ، ومع ذلك فان يسطيانس الذي خلد ذكراً باقياً في تاريخ القياصرة بجمع القوانين الرومانية ، كان موصوفاً بالرياء والخداع ، يحلف الأيمان المغلظة ، ويذرف الدمع رقة ورحمة ، ولكن بكاءه لم يكن عنوان حزنه ولا عنوان فرحه ، بل احدى الوسائل التي يستعين بها على قضاء حوائجه وبلوغ مآربه ، وكان في بعد غوره لا يبيح سراً ولا يطلع على مكنونات صدره احداً ، ولا يبالي ما ارتكب من غدر وخيانة ؛ فهل كان امرؤ القيس في عداد ضحاياه بعد أن وطأ له من مهاده وخفض له من جناحه ؟ ونحن نجد توافقاً غريباً بين ما كتبه مؤرخو العرب عن طريقة فتكه بامرئ القيس ، والصفات المأثورة عنه في كتب الروم (*)

نجيب الارمنازي

(*) اذا ذكر القيصر يسطيانس فلا بد ان نذكر معه زوجته تيودورا التي يرجع اليها في شؤون المقاطعات الشرقية كالشام ومصر وتتصل بابنائها ، وقد جلست على عرش القياصرة وان لم تكن من اصل بزنطي حتى يقال انها ولدت في سورية ، وتاريخها حافل بالعجائب التي تشابه الأساطير .

وقد سار بها ابواها الى قسطنطينية وهي صغيرة السن لتحصيل بعض موارد الرزق ، فتعاطى والدها عملاً في ميدان من ميادين اللعب وكان يحرس بعض الحيوانات التي تراض وتعد ، اما أمها التي كانت تعيش في هذه البيئة المردية فانها لم تكن من امثلة الفضيلة ، وكانت ترى في جمال ابنتها مايعادل ثروة عظيمة ، فنشأت تيودورا

بين المغنين والراقصين واللاعبين ورائضي الحيوانات حتى برعت في صناعة المسارح واحرزت قصب السبق ، واخذت تغدو وتروح الى المجتمعات والنوادي ، تتهادى في معارض سحرها وجمالها ، حتى اصبحت ملكة من ملكات العبث واللهو ، وكان في وسعها ان تفاخر بانها لم تبلغ العشرين حتى احبها جميع الرجال وابغضها جميع النساء ، واذا صدقنا ما قاله بركوب — مؤلف التاريخ السري — وهو يتلظى حسرة وغيظاً على الفضيلة الملطخة بالعار ، فانه لم يكن يشاهدها رجل وقور حتى يشيح بوجهه ، مخافة ان يلحقه الاذى من لقاء شخص مثلها غارق في حمأة الرذيلة ، وأن يصيبه الضر في ذلك اليوم الأنكد ، وكان هذا المؤرخ يصفها بالوضاءة والحسن ، ولعل في ذلك ما يشرح سر نجاحها ، فقد كانت تفتن وتخيف ، وتمتاز بذكائها وصحة رأيها ، وتعرف ما تجره من المغانم عن طريق عقلها وجمالها ، فكثر المعجبون بها وكلهم من الاغنياء المترفين ، وأصبح منزلها ملهى لعظماء القسطنطينية ونخبة شبابها ، وقد ولي أحد عشاقها افريقية فاستصحبها معه ، ولا يعرف ماتم لها في هذه الربوع ، ولكنها غادرتها بعد حين الى الاسكندرية ، فأخذت تسلك فيها مسالك الزهاد ، وعدلت عن سبل الغواية وانقطعت الى عبادة الله ، وراحت تختلف الى الوعاظ والنساك والرهبان والبطاركة ، فكانوا يتقبلون بقبول حسن هذه المستغفرة لذنبها ، النادمة على ما فرط منها .

ولما عادت الى القسطنطينية كانت تبدو عليها ملامح الوقار ، وتلقي على وجهها قناعاً تلوح خلاله مظاهر الجمال ، فالتقى بها يسطيانس وهي على هذه الحال من اظهار التوبة والانابة ، فاقتنصته بحبائل فتنتها وأضحت خليلة له ثم زوجة ، وتوجت في الميدان الذي كانت تركض فيه الى اللهو وتقبلت تهانئ الشعب وتكرمته ، واستمرت في عظمة سلطانها حتى طوتها الأيام في سجل الفناء ، وهي وقورة رزينة ، سديدة الرأي ، مهيبة الجانب ، مهيمنة على العظماء والرؤساء ، لا يؤذن لهم بالدخول عليها بسهولة ، واذا أذنت لهم يركعون لها ويقبلون أقدامها ، ولا ينطقون بكلمة مالم تأمرهم بالكلام

في حضرتها ، وكانت أشد حماسة من الامبرطور واكثر هوى وأقوى شكيمة واعظم خطراً ، وخلدت في تاريخ القياصرة ابلغ صفحة لأعظم امبراطورة .

وكانت تحب نفائس الاشياء وغوالي الدرر وطيبات المآكل ، وكان الاعجاب بعبقريتها لا يقل عن الاعجاب بجمالها ، وابقت صورتها وصورة زوجها أثراً من الآثار البزنطية التي لامثيل لها ، في زينة باهرة من الحلي والحلل والحجارة الكريمة والفن البديع ، ولم يكن السلطان الذي لها على القيصر لأنه يحبها أشد حب ، بل لأنها كانت لديه أعظم من يستشيره وأوثق من يعتمد عليه ، وللنساء من وجهة عامة دقة نظر في السياسة ، لأنها تستلزم نظرة مجردة الى الحياة ، وشيئاً كثيراً من مسايرة الامور ومجاراة الحوادث وتطبيق المبادئ عليها لا تطبيقها على المبادئ ، وهذه الصفات التي تمكنت منها تيودورا هي من أخص صفات النساء ، ولعل حياتها المنقلبة وما مر عليها من أحداث وأطوار زاد في حنكتها وأحسن تجربتها وتأديبها .

وحسب هذه الملكة من المواقف العظيمة التي وقفتها في أيام سلطانها ما فعلته عندما نشبت ثورة كبرى في القسطنطينية ، وهاجم الثائرون قصور الدولة ودور الحكومة وأحرقوا كنيسة أياصوفية ، وخربوا ودمروا ، ونادوا بملك جديد ، فاستولى اليأس والقنوط على القيصر وبطانته حتى هموا بالفرار وأخذوا بالبحث عن وسائله ، لولا أن تيودورا التي لا تلين عزيمتها في الخطوب والعظائم ، بثت فيهم روح الشجاعة وحملتهم على الاستبسال في المقاومة ، وألقت عليهم كلمات موجزة تضطرم بنيران الحماسة ، وتدل على أنها كانت أهلاً لما أحرزته من مقام ومنزلة ، وقالت لهم :

« قد لا يكون من شأن المرأة — أليس كذلك ؟ — أن تخاطب الرجال وان تبعث الشجاعة في نفوس الجبناء ! غير ان ساعات الخطر الشديدة توجب على كل واحد أن يبذل قصارى جهده في دفع الخطر وإدراك السلامة ، ولا شك عندي أننا في موقف لا ينفع فيه الفرار ، حتى اذا كان في الفرار نجاة ، لأننا لا نتمتع بالحياة الا قليلاً ريثما تسلب منا ، ولا يحق لمن يتقلد الحكم والسيادة أن يتمتع

بالحياة إذا حرم منها ، فلا أراد الله أبداً أن انزع عنى رداء الملك ، أو ان أتخلى عن لقب الامبرطورة ! أما أنت أيها القيصر فانك تستطيع الفرار اذا ابتغيت سبيله ، ولديك أموال وسفائن ، والبحر قريب منك ، ولكن اسمع لما أقوله لك : انك اذا تخليت عن هذا القصر فستتبعه حياتك على الاثر ، وأما أنا فسأتمسك بالقاعدة التي أحبها ، وهي ان الارجوان — رداء الملك — أجمل ما يكفن به انسان . »

فهذه الجرأة النادرة والكلمات البالغة المؤثرة والامتهان المقترن بالاباء والانفة افاض على الامبرطور ومستشاريه من الاقدام والعزيمة ما بدل من نفوسهم وأوقد جذوة الحماسة في قلوبهم ، فأمروا بارسال الجنود المجربين الذين لا ترهبهم كثرة الذين اطلقوا عقال الثورة وأثاروا نقعها ، فحملوا عليهم حملة شديدة حتى أزالوهم عن مراكزهم وأحاطوا بجموعهم واكثروا القتل فيهم ، فاعتدل الأمن في نصابه واستقر النظام في قراره ، واستوسق لقيصر الأمر ، وعظم شأنه ونفوذه اكثر من قبل ، وذلك بيمن زوجته وحسن تدبيرها وفاضل رأيها .

ن . ا

الأوهام العائرة

-٣-

١٨ — لا يقال : سوف لا أتردّد في تهذيبه ، بل : لن أتردد

ومن سوء تعابيرهم ، أنهم يقولون : سوف لاأتردد في تهذيبه ، لأن سوف لا تدخل على النفي ، في حين ان (لن) تجمع بين النفي والاستقبال . قال سيبويه : « سوف كلمة تنفيس في ما لم يكن بعد . ألا ترى انك تقول : سوّفته ، اذا قلتُ له مرة بعد أخرى : سوف أفعل . ولا يفصل بينها وبين الفعل ، لأنها بمنزلة السين في سيفعل » اه (عن تاج العروس والصحاح) .

١٩ — نزع ونزف لانزاع ونزيف

ومن أغلاطهم أنهم يقولون : النزاع والنزيف . وهذان حرفان عاميان والصواب نزع ونزف

٢٠ — تأمل كذا لا تأمل في كذا

ومن أوهامهم أنهم يقولون : تأمل في كذا . والصواب : تأمل كذا كما يستعمله بلغاء الكتاب وفصحاؤهم .

٢١ — حُبّاً له لا حُبّاً به

ومن خُلفتهم انهم يقولون : يعمل هذا حُباً بهِ ، والأصوب حباً له ، لأنه يقال أحبهُ ، لا أحبّ بهِ .

٢٢ — لا تقل قصفت الطائرات بقنابلها ، بل : صعقت الطيارات بقنابرها

هذه ثلاثة أغلاط في عبارة صغيرة . وأولى هذه الهفوات قول أرباب الصحف : (قصفت) . والفعل قَصفَ ، يعني كسر . وقصف الرعد : اشتدّ صوته . ولهذا يعدل عن استعمال هذا الفعل الى اتخاذ فعل (صعق) . لأن الصاعقة : كل عذاب مهلك (اللغويون) . وصعقتهم السماء صاعقة : أصابتهم بها . فالسماء كل ما علاك . فاذا جاءتك قنبرة من الطيارة فقد جاءتك من السماء ولهذا حسن ان يقال : صعقته الطيارة لا قصفته .

وأما (الطائرة) فلا تدل إلا على ما ستطير عن قليل ، أو على ما ستصير طائرة عن قليل ، لأن هذا معنى الفاعل مذكراً أو مؤنثاً ، كما صرح اللغويون ان الشارف من الناس : الذي سيصير شريفاً عن قريب . قال في القاموس والتاج : « شرف الرجل ككرم فهو شريف اليوم وشارف من قليل ... أي سيصير شريفاً » انتهى . ولذا لا يحسن أن يقال طائرة بل طيارة ، لأن فعالة من صيغ الآلات وان لم ينصوا عليها . فقد قالوا خرّارة ، وبرّادة ، وقذّافة ، وصفارة ، وطحانة ، ونشافة ، وسيارة ، ونفاطة ، وقدّاحة ، وفزاعة ، ودرّارة ، وبرّاءة ، وزمارة الى أشباهها وهي كثيرة . ولا يقال هنا : ان هذه الطيارة التي يطير بها الانسان تختلط بالطيارة التي يطيرها الصبيان . فان اسم هذه الآلة عند فصحاء العرب (راية شادن) ومنه الشاعر الهذلي في مسيلمة الكذاب :

ببيضة قارورٍ وراية شادنٍ ‏ وتوصيل مقصوص من الطير جائفِ

زد على ذلك : ان الطائرة هي المرأة التي تطير . ولهذا يحسن ان يعدل عن هذا الاستعمال الموهوم فيه ، الى ما يصلح اتخاذه من أسماء الآلة أي (الطيارة) .

وأما (القنابل) بمعنى (القنابر) فلم يرد في العربية ، والمعروف في لغتنا ان (القنابل) بلام في الآخر ، جمع قنبل كجعفر وهو الطائفة من الناس ، ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً . وقيل : ما بين الثلاثين الى الاربعين . وهي أيضاً جمع قنبلة بالفتح وبالهاء في الآخر بمعنى القنبل كجعفر . وجمع القنبلة بضم الأول والثالث ، وهي مصيدة النهس كزُفر ، وهو أبو براقش . وقد ذكرها صاحب محيط المحيط ان القنبلة أيضاً : كرة مجوفة تُحشى باروداً ، وقطع حديد ، يُرمى بها عن المدفع في الحرب . والبعض يسمونها بالقنبرة بالراء » اهـ . لكن القنبلة لم ترد في كلام فصحاء العرب المولدين ، بل الذي ورد في كلامهم : « القنبرة » بالراء

فصواب التعبير إذن ان يقال : « صعقت الطياراتُ البلدة بقنابرها »

٢٣ - انكم أضفيتم عليه جلالاً من جلالكم السامي

يقول بعضهم في مخاطبته لملك : « انكم أضفيتم عليه جلالاً من جلالكم السامي »

ففي هذا التعبير خطاءان : الأول قوله أضفيتم . وأضفى لم يرد في كلام السلف بمعنى أسبغ وأفاض . فالظاهر أن المتكلم استعمل القلب في (أفاض) فقال (أفضى) « كذا » .

وأما (الجلال) فلا يستعمل في الكلام مع الملوك في مكان الجلالة . قال الراغب في (جلل) : الجلالة : عِظم القدر ، والجلال بغير الهاء التناهي في ذلك . وُخصّ بوصف الله تعالى فقيل : « ذو الجلال والاكرام » . ولم يستعمل في غيره » . وحكى الاصمعي : انه لا يقال الجلال إلاّ في الله تعالى . وان جاء في غيره فهو قليل في الاستعمال .

٢٤ — كرات بيض لا بيضاء ولا بيضاوات

لما خطأنا من يقول « كرات بيضاء » شرع بعضهم بقول كرات بيضاوات وهذا تعبير أمرّ وأدهى . ولا نرى سبب استنكافهم من الصحيح الذي هو الكرات البيض . فقد قال الخفاجي في الرد على درة الغواص (ص ١٦٣ — ١٦٤ من طبعة الآستانة) : « ويقولون في جمع بيضاء وسوداء وخضراء : بيضاوات وسوداوات وخضراوات ، وهو لحن فاحش . لأن العرب لم تجمع فعلاء الذي هو مؤنث أفعل بالالف والتاء ، بل جمعته على فُعل نحو خُضر . هذا مشروط بأن لا ينقل الى الاسمية حقيقةً . أو حكماً ، كسوداء اذا جعل علماً ، وكخضراء في الحديث : « ليس في الخضراوات صدقة » لأنه غَلبَ على البقول ، حتى شمل الأخضر وغيره ، وقد صرح بصحته كما ورد في الحديث قالهُ المبرد في كتاب المقتضب . وأما خُضرَاوات بضم الخاء الجاري على ألسنة الناس ، فقال في الطلبة : لا وجه له . وقال بعضهم الصحيح فيه خُضرات جمع خضرة اهـ

٢٥ — المحاجر لم تأت بمعنى المقالع والمقاطع

ويقول كثيرون : أخذنا هذه الصخور من محاجر المكان الفلاني . وهذا خطاء قبيح منقول عن بعض العوام المصريين ، واللغة لا تجيزهُ فالمحاجر جمع محجر كمنزل ومنبر وهو الحدبقة . قال لبيد : تروي المحاجر بازل علكوم — والمحجر من العين ما دار بها وبدا من البرقع او ما يظهر من النقاب — ومحجر الرجل : عمامته اذا اعتم بها . — ومحجر القرية : ما حولها . يقال : لهذه القرية محجر فيه رعي كثير .

والصواب ان يقال في مكان المحاجر : المقالع او المقاطع فللطين يقال مقالع . قال ياقوت في (نمانية مصر) و (نمانية العراق) : « وفي كل واحدة منها « مقلع » للطين الذي يغسل الرؤوس به في الحمامات » اهـ

أما اذا كان المقلع للرخام أو المرمر فيقال المقطع قال أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٣٤ من طبعة الافرنج : « وهناك جزيرة مَرْمَرا ، وبها مقطع الرخام » اهـ .

وللموضع الذي يؤخذ منه الطين اسم آخر في لغتنا هو (الممدرة) زنة مكنسة ومدرسة . ويقال فيها أيضاً : (الوئار) ككتاب . والمحفرة كمدرسة . وقد صحفها بعض نساخ كتب اللغة في شرح (الوئار) . فاحفظه .

٢٦ – موقت ووقتيّ

لم أجد بين الكتاب من يعرف الفرق بين الموقت والوقتي . فقد يستعملون الواحد بدل الآخر بدون أدنى فرق ، مع ان الواحد غير الآخر . (فالموقت) اسم مفعول « من وقته توقيتاً أي جعل له وقتاً يفعل فيه . وكذلك اذا قدّر له غاية . وفي سورة المرسلات : واذا الرسل وُقتت . وقرئت : أُقتت . والعرب تعاقب بين الهمزة والواو ، لا سيما اذا كانت في الأول ، وكانت مضمومة . قال المجد في مادة (و ق ش) : بنو أُقيش : تصغير وقش : حيّ . وكل واوٍ مضمومة همزها جائز في صدر الكلمة وهو في حشوها أقل » اهـ .

قلنا : وقد عكسوا الأمر فقد قالوا : (الأُثن) وأصلها :(الوُثن) . و (الأُشَّق) وأصلها (الوُشَّق) وقالوا في الصنم (وُدّ) : (أُدّ) الى مالا حدّ له .

وأما (الوقتي) فهو : ماله زمن معين محدود لا دائماً . وهو مأخوذ من أن الوقت جزء من الزمان . وعليه قول المناطقة الوقتية هي القضية الموجهة « التي يحكم فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع او بضرورة سلبه عنه في وقت معين من أوقات وجود الموضوع مقيداً باللادوام بحسب الذات » عن التعريفات للشريف الجرجاني .

٢٧ — أنابير وأظافير لا أنابر وأظافر

لا أرى كاتباً مصرياً الا ويقول : « أنابر وأظافر وهما جمع أنبار وأظفار ، وهما

جمع نبر (على رأي)وظفر . وأفعال تجمع على أفاعيل لا على أفاعل باتفاق جميع الصرفيين والنحاة . لكنهما يقصران هما وأمثالهما في الشعر للضرورة ، أو حفظاً للوزن . وقد قال بعضهم ان ما يرد في الشعر ضرورة قد يجوز الاستشهاد به في النثر والجميع يعلمون أن ضرائر الشعر للشعر لا للنثر ، لكن ما العمل وقد قال صاحب المصباح المنير في مادة (دنق): « وقيل : كل جمع على فواعل ومفاعل ، يجوز أن يمدّ بالياء . فيقال :فواعيل ومفاعيل »

قلنا : ان صاحب المصباح من أبناء أواخر المائة الثامنة للهجرة ، فليس من الثقات الذين يعتمد على كلامهم .

وانه من علماء الفقه وليس من علماء اللغة الفصحى .

وان الحذّاق والبصراء من أرباب القدم الراسخة في النحو واللغة لا يرون رأيه وذلك مثل الخليل بن أحمد ، والليث بن سيار ، وسيبويه ، والفرّاء ، والازهري ، ونظائرهم فهم يخالفونه وقد سبقوه بمراحل في التحقيق والامعان في التدقيق . قال في اللسان في مادة (ك ر س) : « الاكاريس الاصرام من الناس واحدها كرس ، واكراس ثم أكاريس ... فأما قول ربيعة بن الجحدر :

ألا إنّ خير الراس رِسلاً ونَجدَةً بِعَجلانَ قد خفّت لديه الاكارس

فانه أراد (الاكاريس) فحذف للضرورة ومثله كثير » اه كلام ابن مكرم .

أما الذين أجازوا فقالوا في جمع دانق دوانق ودوانيق فقد ذهبوا الى ان (الدوانق) بالكسر بلا أشباع ، جمع دانق وزان دارس ، وأما الذين قالوا (الدوانيق) بياء ، فقد بينوا انه جمع دانَق المفتوح النون . فهذا هو الحق الصراح ، والتكلم كلاماً موافقاً للمنطق ولأحكام العربية .

وقال سيبويه : « وما كان من الاسماء على فاعِل [بالكسر] ، أو فاعَل [بالفتح] فانه يكسر على بناء فواعِل وذلك : تابَل وتوابِل ، وطابَق وطوابق ، وحاجر وحواجر وحائط وخوائط . » (اه في ٢ : ١٩٨)

وقال ابو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه في حاشية ٢ : ١٩٨ من طبعة بولاق) : « قوله : وما كان من أسماء على فاعل الخ قال ابو سعيد : قد جاءت فاعل فواعيل . نحو : طابق وطوابيق ، ودانق ودوانيق ، وخاتم وخواتيم . وليس ذلك بقياس

يَطرد . وبعضهم يقول في خاتم خاتام . فعلى هذه اللغة قياسه خواتيم . وقد قال الفراء انه لم يجئ في فاعل فواعيل الا شيء من كلام المولدين . قالوا : باطل وبواطيل شبهوه بطابق وطوابيق . » ا هـ .

فهذا الكلام الذي يؤخذ به هو لأبي سعيد السيرافي ولسيبويه وكل لغوي جليل القدر، واسع العلم، راسخ القدم، بعيد النظر، وما سواه من كلام المولدين ينبذ ولا يؤخذ به.

ومن العجيب، ان العراقيين، عوامهم وفصحاؤهم، يقولون أظافير . ويقولون في أنابير : عنابير، وفردها عندهم عنبار، وكلاهما بالعين، من باب العنعنة، وذلك ان كثيرين من قيس وتميم وأسد وكلاب دخلوا وادي الرافدين، وأدخلوا فيه لغتهم هذه، فعمت البلاد[1] كلها . فهل يجوز ان يجري عوام العراق على اللغة الفصحى ويبقى بلغاء وادي النيل على لغة المولدين، فاننا نحن اخوانهم لا نرضى لهم هذه اللغية، بل نريد ان يكونوا في رعيل البلغاء والفصحاء .

ونزيد على ما تقدم ان (الانبار) ليست عربية ولا لفظة مجموعة، بل هي لفظ مفرد معرب من اليونانية [Empor[ion]] وليس فارسياً كما قال بعضهم . وأما ان مفرد (نِبر) بالكسر، فهو من باب الوهم، لأن (أفعالاً) كثيراً ما يكون مفرده فِعلاً بالكسر . اما انه مفرد فقد قال صاحب القاموس : « أنبر الأنبار : بناه « نقله الصاغاني . » ا هـ . فهذا دليل على ان الفيروزابادي والصاغاني اعتبراهُ مفرداً . و كان السلف في مندوحةٍ عن اتخاذ لفظة اعجمية في حين ان عندهم (الفداء) كسماء بهذا المعنى . وعندهم أيضاً المِرْحه، بكسر الميم، والصوْبة كغرفة، تهمز ولا تهمز . وهناك غير هذه الكلم، فاكتفينا بما ذكرنا .

بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي

---

(١) راجع كتاب النوادر في اللغه لأبي زيد الأنصاري (طبعة اليسوعيين ص ٢٨ و ٢٩) — والمزهر (طبعة بولاق الاولى ١ : ١٠٩) والاغاني (طبعة بولاق الأولى ٧ : ٥٤) — والتاج في مادة (ع ن ن) و (ع ب د) وكذلك لسان العرب وفقه اللغة للثعالبي (طبعة اليسوعيين في بيروت ، ص ١٠٧) وقد تلون العنعنة في فيربدء الكلمة والشواهد لا تحصى .

كتاب في فضل الجهاد

وما يجب مراعاته على الملوك والأمراء

أشرت فيما نشرته في مجلة المجمع العلمي العربي « مجلد ١٧ صفحة ١٢٨ » بعنوان «من الصفحات المطوية » الى كتاب فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والامراء تأليف محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرّفة سابقاً كما يقول عن نفسه ووعدت بوصف هذا الكتاب المخطوط الذي اقتنيته أخيراً فأقول :

مقدمة الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أقام شعائر الامامة العظمى وأدام بها شرائع الحج والجهاد وجعل الائمة والخلفا والسلاطين الحنفا ملجأً ومأوى للمظلومين والفقراء من العباد وفقهم الله تعالى لكل خير ونصرهم وهزم عدوّهم الى يوم التناد والذي جعل العلم للعلماء نسباً وأغناهم به وان عدموا مالاً ونشبا . ولأجله فاز ادريس بالجنة واجتبا وقام الكليم ويوشع وانتصبا فسارا الى ان لقيا في سفرهما نصبا واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين او امضي حقبا وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا وأمر الملائكة بالسجود فسجدوا له الا ابليس أبى واستخرج من ذريته قبائل وشعبا وأجرى عليهم قلم القضاء وجعل لكل شيء سببا أحمده وأومن به وأتوكل عليه وابرأ من الحول والقوة اليه براءة من اعترف بالتقصير فأقر وأشكره ان جعلنا من أهل حرمه وجيران بيته ومحط نظر رحمته وكرمه وأشهد ان لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة من شاهد جمال الحضرة المقدّسة واستحضر لحسن الخاتمة لخضر وأشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وصفوة المرسلين وسيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في دين الله حتى ارتفعت أعلامه على الأديان وظهر .»

وبعد ان ذكر مفارقته للحجاز وعودته الى بلاده التي لم يذكر اسمها واستيحاشه

من الاقامة فيها بعد تلك الرحلات التي تألف فيها المدن والأمصار وصحبة الأخيار وطد العزم على تأليف كتاب فقال : « انتهضت لأن أجمع كتاباً مشتملاً على بعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام صاحب المقام المحمود مع قلة بضاعتي وعدم معيني وظهيري عسى ان انال الثواب الموعود وأرِدَ على الحوض المورود بفضل كرم الله الودود فلما رأيت الوقت وقت المجاهدة بالنفس والشيطان وأنواع الكفرة وسائر أرباب الطغيان استخرت الله عز وجل أن يكون الكتاب في الجهاد فجمعت هذا الكتاب بعون الله الملك الجواد فصار ان شاء الله تعالى كتاباً لم تكتحل عين الزمان بأثمدٍ مثل مداده ولم تتمتع بتسريح طرفها في روض دبج بشبه بياضه وسواده يصلح ان يكون للملوك روضة أنفاً ويليق ان يكون جليساً للخلفا والائمة الحنفا كيف لا وقد اشتمل على أحاديث من لا ينطق عن الهوى »

أبواب الكتاب

ورتبته على خمسة أبواب وخاتمة

الباب الأول : في فضائل السلطان وما ورد في شأنه من دليل وبرهان

الثاني : فيما أوجبه عليه الرحمن حيث أقامه في هذا المقام في كل زمان

الثالث : في معاملته العلماء بالتعظيم ووافر الاجلال والتكريم

الرابع : في النية وفضائل الجهاد وما يتعلق به من بذل الاجتهاد

الخامس : ذكر أحاديث فضل الجهاد وغالبها في صحيح البخاري ومسلم متصلة الاسناد

وخاتمة الكتاب تشتمل على ذكر غزوة الحديبية وبيعة الرضوان

خاتمة الكتاب

جمعه وكتبه الفقير الى رحمة ربه الغني القدير محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرفة سابقاً شرفها الله تعالى بقدر مجاورة موسى عليه الصلاة عند شعيب عليه السلام غفر الله له ولوالديه وأجداده وجميع أقاربه من الرجال والنساء الأعلى منهم والأدنى وعفا عنهم أجمعين بمنه وكرمه ورحمهم ولطف بهم فانه القادر على ذلك وعمن طالع

فيه ودعا لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان وأسكنهم فسيح الجنان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته وآل بيته ومحبيه وحشرنا والمسلمين في زمرته أجمعين والحمد لله رب العالمين ٠

ومما يؤسف له ان المؤلف لم يشر الى تاريخ تأليفه ولا ذكر الناسخ اسمه وتاريخ نسخه الا اننا بالاستدلال من كتاب آخر منسوخ بالخط نفسه عرفنا أن تاريخ النسخ كان في سنة ٩٦٢ أو حواليها وان لم نهتدِ الى معرفة الناسخ ٠

شعر المؤلف

ويظهر أن المؤلف كان يقرض الشعر فقد أورد بعض أبيات بعد مفارقته الحجاز فقال :

يا سائقاً غنّ النياق وزمزما	أبشر فقد جئت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة	وتقول ان بها المنى والمغنما
برّد بماء سقاية العباس ما	كابدته طول الطريق من الظما
وانهض وهرول بين مروة والصفا	وادخل الى الحجر الكريم مسلما
ومقام ابراهيم زره مبادراً	وبحجر اسماعيل صلّ معظما
وانظر عروس البيت يجلى حسنها	للناظرين ولذ بها مستعظما
فهي التي ظهرت فضائلها فلا	تخفى وما يخفي سنا قمر السما
لم يلقها الانسان إلاّ باكياً	فرحاً بها او ضاحكاً متبسما
والنور من ارجائها لا يختفي	أبداً وان جن الظلام وأعتما
ومن العجائب انها محروسة	والصيد فيها لا يزال محرّما
تختال في حلل السواد وبابها	بالنور دام مبرقعاً وملثما
هي كعبة المولى الكريم وكل من	وافى اليها حقه أن يكرما

واننا ننقل الى القارىء الكريم بعض ما أورده في الباب الأول في فضائل السلطان وما ورد في شأنه من دليل وبرهان

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه خطب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض فمن نصحه في نفسه وعباد الله حشده الله في وفده يوم لا ظلّ الا ظله ومن غشه في نفسه وعباد الله خذله الله يوم القيمة ويرفع للوالي العادل في كل يوم وليلة عمل ستين صدّيقًا كلهم عابد مجاهد في نفسه ·

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض من نصحه هدي ومن غشه ضلّ ·

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض فمن اكرمه اكرمه الله عز وجل ومن أهانه أهانه الله عز وجل

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا مررت بقرية ليس فيها سلطان فلا تدخلها انما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو قال هو ظل الرحمن في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وان جار وحاف وظلم كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر

وفي رواية عند أبي نعيم فان احسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وان اساءوا فعليكم الصبر وعليهم الاصر لا يحملنكم اساءته على ان تخرجوا من طاعته فان الذل في طاعة الله خير من خلود النار لولاهم ما صلح الناس ·

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به اخرجه مسلم [1]

(١) في الهامش قوله صلى الله عليه وسلم الامام جنة اي كالساتر لانه يمنع العدو من أذى المسلمين بمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الاسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ويعني يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصره عليهم ويعني يتقي به أي يتقي به شر العدو وشر أهل الفساد والظلم ،طاقاً والتاء في يتقي مبدلة عن الواو

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه قال لا تسبوا السلطان فانه ظلّ الله في الأرض به يقيم الله الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين

وعن أبي امامة رضي الله عنه لا تسبوا الأئمة وادعوا بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح اخرجه السيوطي في الجامع

وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا السلطان فانه فيْ الله في أرضه

قال الامام ابو سليمان الخطابي في معنى كون السلطان ظل الله ورمحه الظل العز والمنعة ويحتمل ان يريد به الستر كما يقال انا في ظلك اي سترك

وقيل انما وصفه بالظل لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى الشمس

وقال الطيبي قوله السلطان ظل الله في الأرض تشبيه وقوله يأوي اليه كل مظلوم جملة مبينة لما شبه به السلطان وهو الظل فكما ان الناس يستروحون الى برد الظل من حر الشمس فكذلك يستروحون الى برد عدله من حر الظلم وأضافه الى الله تشريفاً له كبيت الله وايذاناً بانه ظل ليس كسائر الأظلال بل له شأن ومزيد اختصاص بالله تعالى لما جعله خليفة في أرضه يبثّ عدله واحسانه في عباده

قال ابن الأثير وقد استوعب بهاتين الكلمتين يعني ظل الله ورمحه نوعي ما على الوالي للرعية احدهما الانتصار من الظالم والاعانة لأنّ الظل يلجأ اليه من الحرارة الشديدة ولهذا قال في تمامه يأوي اليه كل مظلوم والآخر ارهاب للعدو ليرتدع عن قصد الرعية وأذاهم فيأمنون بمكانه من الشرّ والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع انتهى كلام ابن الأثير وما أحسن قول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الائمة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

ولما كان السلطان في الدنيا ظل الله يأوي اليه كل ملهوف كان في الآخرة يأوي الى ظل رحمة الله الرحيم الرؤوف الى آخر ما في هذا الفصل المسهب كسائر فصول الكتاب

وبعد فان الكتاب من القطع المتوسط عدد صفحاته ١٣٦ وفي كل صفحة ١٧ سطراً وكل سطر يتألف من ١٣ كلمة تقريباً وطوله ٢٢ وعرضه ١٣ سانتيمتراً وهو بخطٍ مشرق جميل في كاغدٍ صقيل .

عبد الله مخلص

عشائر الشام

— ٤ —

(منازل الرولة) · — يقيظ اكثرهم في انحاء حوران « النقرة والجولان » وقليلهم في انحاء حمص « حول الفرقلس وحسية وبحيرة قطينة » · اما شتاؤهم ففي الحماد شرقي وجنوبي جبل عنزي وارض اللاهة وحول خبرة الهجم وربما توغلوا وبلغوا حدود الجوف · وتلتقي الفرق القادمة من حمص وفرق حوران والجولان في القريتين حيث يكون مخيم العشيرة الكبير ، فتأتي الأولى من ناحية الفرقلس والثانية من ضفاف نهر الأعوج فشرقي الغوطة فالضمير فجيرود فالقريتين ، ومن ثم تزحف العشيرة كالجراد المنتشر نحو الجنوب الى أن تلتقي في الحماد في الأماكن التي ذكرناها ، وفي الربيع تعود من المسلك نفسه ·

(الأفخاذ والفرق) ١ · — الشعلان ، فخذ الشيخ وأقاربه ، ٨٠٠ بيت ، وفيه من الفرق النايف والزيد والمشهور والجول ، ويلتحق بهذا الفخذ عن بعد فرقتا الصبيح والروصان · ٢ · — المرعض ، ٢٠٠ بيت ، وفيه فرق النصير والعشيران والنواصرة والبنية والسبتة والعلمة والمبهل والموسرين · ٣ · — الدغمان ، ٢٠٠ بيت وفيه فرق الهكشة والصوالحة والدرعان والمهنا · (وهذا الفخذ الذي قدمنا انضمامه الى الوهابيين ولحاق فرقة المشهور به) · ٤ · — الفعافعة ، ١٠٠٠ بيت وفيه فرق المصطفجة والغشوم والمانع والجرذي والريشان · (كانت مشيخة الرولة قديماً في يد هذا الفخذ الكبير ثم انتزعها منهم آل شعلان بالقوة) · ٥ · — الفريجة ٧٠٠ بيت ، وفيه فرق الرماح والسوحلة والمشيط والخضعان والفلتة والسحران والصباح والهطلان والعزول والبادي والجفيان · ٦ · — الكواكبة ١٥٠ بيت ، وفيه فرق العرضان والوكلان والخمسي والعطلان والختام والوهيب والمدلوشة · (ينزل هذا الفخذ في جنوبي الحماد ومنذ سنة ١٣٤٥ لم يعد الى ديار الشام) · هذا ولكل فخذ وفرقة من هؤلاء شيخ خاص اضربت عن ذكر اسمائهم لضيق المجال · ومشيخة الشيوخ على الرولة مابرحت منذ قرن او اقل في يد آل الشعلان ، وهي في عهدنا ·

في يد النوري بن حمزة بن نايف بن عبد الله بن منيف آل شعلان . وهو رجل جاوز التسعين ، اشتهر بثروته الطائلة وحنكته البالغة في موالاة جميع من تعاوروا الحكم في ديار الشام ، وهو يقيم في داره في دمشق منذ أمد بعيد ولا يقصد الى البرية . وقد عهد بادارة مخيمه الخاص الى حفيده فواز بعد ان فجع في سنة ١٣٤٠ بولده نواف أبي فواز . والنوري اكبر حكم بين العشائر عند اختلافها . ولأحكامه أثمان غالية . وهو وبعض أقاربه يحاولون امتلاك الارضين والعمل بالزراعة . (المحلف) . وهم الفرع الثاني من ضنا مسلم . وفي هذا الفرع عدة عشائر تعد من لواحق الرولة وتذعن كلها الى النوري وتتبع سياسته . ولعل هذا ما دعا لتسميتهم بالمحلف من التحالف . وهؤلاء هم (الاشاجعة) ٤٥٠ بيت ، في مشيخة فرحان ابن معجل ، يتنقلون مع الرولة في مناطقها الشمالية ثم صاروا يظهرون في جنوبي درعا ، فرقهم : البلاعيس والمهيوب والبدور والخليفات . ثم (السوالمة) ٢٥٠ بيت ، في مشيخة عافت بن جندل ، يتنقلون مع الرولة أيضاً ، وفرقهم الملهاج والهليب والفراهدة والجندل . ثم (العبد الله) ٢٠٠ بيت ، يتنقلون مع الرولة أيضاً . في مشيخة عبد الله بن مجيد . وفرقهم المجيد والحرزة والقشوش . وهذه العشائر الثلاث كانت فيما مضى مستقلة ثم لما ضعفت اضطرت الى أن تلوذ بحمى الرولة ، على انها تحاول منذ سنة ١٣٥٠ الانفصال والانضمام الى الولدعلي .

(ولد علي) بكسر الواو وسكون اللام — وهم من قبيلة عنزة ومن ضنا مسلم ومن فخذ الوهب . حفظوا استقلالهم دهراً طويلاً وظلوا الى هذا الوقت يشاركون أقاربهم الرولة على قوتهم في مسالك النجعة وفي المراعي والمناهل . ومن الغريب ان الحزازات مهما اشتدت لا تباعد بين ضنا مسلم أبداً . والولد علي ينقسمون الى قسمين مختلفين : الأول رحّال جمّال والثاني متحضر غنام ويملك قرية عين ذكر في الجولان وبضع طواحين ولا ينجع الى البرية الا نادراً ، والقسم الاول ٣٥٠ بيت ، يسلك حين النجعة مسلك الرولة ويكاد يعد من لواحقهم . وكان هذا القسم في مشيخة رشيد بن عبد الله بن محمد بن دوخي بن سمير وقد توفي في سنة ١٣٤٠ وخلفه ابنه عناد الذي تكاد العشيرة تنفض من حوله لضعفه . وفرقة العواظ والدعجان والجذالمة والمجبل والعطيفات .

والقسم الثاني المتحضر في مشيخة سلطان الطيار ، ١٦٠ بيت ، وفرقة المشاذقة والجبارة والطلاح والحماميدة .

(الاسبعة) . — من ضنا بشر . وقد انقسمت هذه العشيرة الى قسمين مستقلين ؛ الاسبعة الاعبدة والاسبعة الاقمصة او البطينات . فالاعبدة ١٥٠٠ بيت وعندهم ٣٠٠٠٠ بعير و ٥٠٠٠٠ شاة . ومنازلهم في القيظ أنحاء سلمية الشمالية وشمالي شرقي حماة . وفي الشتاء في الحماد شرقي جبل عنزي وفي القعرة ومنتهاهم في وادي حوران . يبلغونه من سلمية فامرية فالكديم فجبل البشرى فوادي حوران . والمشيخة في يد برجس بن هريب وكان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة رئيس ، تخرج من مدرسة العشائر التي أسسها السلطان عبد الحميد فأفادت وقتئذٍ كثيراً في تثقيف بعض أبناء كبار البادية . وكان برجس غنياً ثم بذر واسرف وافتقر وزالت حرمته أو كادت . وفرق الاعبدة الموايجة والبيابعة والدوام والاعرفة والعبادات والامسكة والوثرة والرماح والسالم والغثارة والمخلف والمونيع والمزاريع .

أما الاسبعة الاقمصة أو البطينات فعددهم ١٣٠٠ بيت وعندهم ٢٥٠٠٠ بعير و ٣٠٠٠٠ شاة ومنازلهم في القيظ انحاء سلمية الشمالية أيضاً ، وفي الشتاء القعرة . وطريقهم اليها من سلمية الى امرية فجب الكديم فالسخنه فوادي المياه . والمشيخة في يد راكان المرشد . وهو رجل عصري النزعة وطموح يدفع بعشيرته الى الزراعة والتحضر . وقد تقدمهم في استئجار أراضي املاك الدولة في شرقي قرية سعف الشجرة من قضاء سلمية (٤٠ كيلاً الى الشمال عن سلمية) وفي أنحاء جب الكديم (١٣٣ كيلاً الى الشرق عن سلمية) فبنى الدور وفجر القني وعكف على الحرث والكرث واذا كتب له النجاح تستقر عشيرته وتعمر تلك البراري النائية . وفرق الاقمصة . البطينات والرسالين والمواهيب والمصرب . وتنقسم البطينات الى العميرة والخمصان والرحمة . وتنقسم الرسالين الى الشفيع والجاسم والهريشان والعجلان . وفرقة المصرب تملك قرية تل القطا في قضاء حمص وهي مستقرة فيها . وقد ذكر ايزامبر وشوفه مؤلفا دليل الشرق المطبوع في سنة ١٢٩٨ أن عشيرة الاسبعة كانت مسيطرةً على طريق

تدمر وتتكفل بايصال سياح الافرنج واعادتهم باجرة ١٥ — ٢٠ ذهباً عن كل شخص، وذكر أيضاً ان أقوى فرق الاسبعة هي المصرب . وان أحد مشايخ هذه الفرقة واسمه مجول كان له دار فخمة في دمشق «وقد صار معروفاً لدى جميع السياح بعد زواجه باللادي دلبي الانكليزية المشهورة بمغامراتها» . ولما كنت في سلمية أدركت الشيخ غطفان المرشد سلف راكان وعمه وقد توفي في سنة ١٣٣٩

(الاحسنة) . — من ضنا مسلم ومن فخذ الوهب وفرع المنابهة . ولهذا فقد حفظوا احسن الصلات مع الرولة والولد علي . وهي على قلة عددها وقصر ثروتها وانصرافها للحضارة لا تزال تعد من اجل بطون عنزة قدراً واوفرها حرمة لما لها في تاريخ الفروسية من الصفحات الخالدة . ولأن مشايخها كرماء المحتدد وذوو مقام علي بين رؤساء الطبقة الاولى من العشائر لا سيما وان جلالة الملك عبد العزيز آل السعود هو من فرقة المساليخ من الاحسنة يجل قدر الوافدين عليه منهم . والاحسنة اول العنزيين الذين نزحوا من شمالي الحجاز الى بلاد الشام في اواسط القرن الثاني عشر الهجري ، فاغاروا في طريقهم على وادي السرحان والبلقاء وحوران ونازعوا عشائرها القديمة التي مر ذكرها ثم مازالوا يزحفون نحو الشمال حتى طابت لهم براري حمص وحماة فدحروا شمر منها الى الشرق ، وقد كانت سبقتهم اليها ، تأخذ الخاوة من كل بلاد حمص وحماة وبواديها حتى الفرات ، ودحروا الموالي الى الشمال ، وقد كانت سيدة هذه البراري من أمد بعيد ، وصارت الاحسنة من ثم اقوى العشائر وأعزها الى ان وفدت بقية عنزة وهي الفدعان والاسبعة والعمارات في أواخر الربع الأول من القرن الثالث عشر فنازعتها القوة والعزة المذكورتين بعديدها وعدتها (ولا يفل الحديد الا الحديد) . وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي ذكر لمهنا بن فاضل الذي كان شيخ الأحسنة . ان هذا شارك في سنة ١٢٢٣ جيش والي الشام التركي في هجومه على عشيرة الفدعان وغيرها من عنزة القادمة حديثاً من نجد الى ديار حمص وسلمية . وكانت الدائرة على الجيش ، فانتقمت الفدعان بعد من مهنا شر انتقام . وفي كتاب البدو للبارون اوبنهايم شجرة شيوخ الاحسنة وان جدهم الأعلى مزيد ومنه ملحم ومن ملحم

فاضل ومن فاضل مهنا وعبد الله ومن مهنا نصر ومزيد ومن نصر محمد ومن مزيد فارس ومن فارس سعود وملحم ومن سعود فندي وتركي ومحمد ومن فندي طراد وهو الشيخ الحالي . وتاريخ الاحسنة طافح بأخبار الوقائع الدامية بينها وبين شمر ثم الفدعان والاسبعة ثم الرولة ولا سيما الموالي . وقد ظلت تغالب الجميع في ميادين الفروسية والبطولة وتبزهم في أكثر الاحيان ، أخصها ما يتناقلونه وينشدونه عن الوقعة التي حدثت بين سني ١٢٨٠ و ١٢٩٠ وغزاهم فيها أحمد بك أمير الموالي بجمع كثيف وهاجمهم في عقر دارهم حول حمص فقابلوه وكانوا في غفلة وقلة وردوه وقتلوا احمد بك ودفنوه في بيت الشيخ ملحم نفسه . وقد أدت تلك الوقائع المتكررة الى ضعف الاحسنة وعزوفها عن البداوة وانصرافها نحو الحضارة فتملكت عدة قرى في شرقي حمص كالشيخ حميد والبوير والوازعية وبرزة وشرعت تحرث بيدها أو بيد اجراء من الفلاحين . ولا يزال كثيرها في بيوت الشعر وقليلها في بيوت المدر . وكان فندي ابو الشيخ الحالي فيما ذكر لي حسن المعاشرة موفور الكرامة مستقيم السيرة ، ولما هرم سلم المشيخة في سنة ١٣٤٤ الى ابنه طراد ، وان هذا أيضاً رجل ذكي وهمام يحفظ سمعة أسرته وعشيرته ويحاول فرض مشيخته العليا على عشائر حمص وحماة كلها . (منازلهم) يقيظ بعضهم في قراهم التي ذكرناها وبعضهم حول بحيرة قطينة ، وفي الخريف يبعدون نحو حسية وصدد ، فاذا حل الشتاء ينجعون الحماد مارين بمهين وحوارين والقريتين وعين الباردة (٤٠ كيلاً الى الجنوب الشرقي عن القريتين) وعين حلبا (٧٠ كيلاً الى الجنوب عن تدمر) فالحماد . وهم لا يوغلون في الحماد بقدر الرولة وقلما يتجاوزون خبرة الزرقاء وجبل التنف . (فرقهم) الفقرا والمساليخ والخماعلة والحجاج والصقارة . وعدد بيوتهم ٤٠٠ يضاف اليه ٣٠٠ من لواحقهم وهم العمور « عمور الملحم » وفيهم فرقتا البرقع والعليوي ثم الحروك والابوعيد والعدوان . ومن عادة فرقة الابوعيد أن تقيظ في سهول بعلبك .

(الفدعان) . — من عشائر عنزة الكبيرة (ضنا عبيد) النازلة بين حلب ودير الزور . وقد كانت الثانية في الهجرة الى ديار الشام . جاءت بعد الاحسنة بنحو سبعين

سنة اذا صح ماذكره حيدر الشهابي في تاريخه . فقد نقل هذا في احداث سنة ١٢٢٣ هـ ان جموعاً عظيمة من الفدعان والاسبعة والعمارات وامثالها من عشائر عنزة قدمت من نجد هرباً من الجدب والضيق وانتشر هؤلاء شرقي العاصي في ارياف حماة والمعرة ، وان والي الشام سليمان باشا خشي وقتئذ ان يستبيحوا حمى المعمور فأمرهم بالخروج فاعتذروا وامتنعوا فساق عليهم جيشاً اشترك فيه مهنا الفاضل شيخ عشيرة الاحسنة لعداء سابق بين الفدعان والاحسنة وان المعركة حدثت حول مياه سلمية التي كانت خراباً يباباً في تلك الحقبة فدارت الدائرة على الجيش وان الفدعان وقد غاظها اشتراك الاحسنة مع الدولة انتقمت بعد منها . قلت ، فاذا صح مجيء هذه الجموع حول سنة ١٢٢٣ فيم اذن العداء السابق الذي ذكر وجوده بين الفدعان والاحسنة . أكان لان الفدعان ولواحقها من عنزة وردت في سنة اسبق من التي ذكرها المؤرخ الشهابي فحدث هذا العداء من مزاحمة الفدعان للاحسنة في السيادة على بادية الشام . ام ان هذا العداء قديم العهد منذ ان كانوا في ديارهم الاصلية في قلب الجزيرة ؟ ويذكر آخرون أن الفدعان حينما وفدت اتحدت مع الموالي ضد شمر وزاحمت شمر على بادية الشام ودحرتها الى الجزيرة الفراتية ثم لحقتها الى هذه الجزيرة وأبعدتها من أطراف البليخ كما أبعدت عشيرة جيس نحو الحدود التركية الحالية ومن ثم كانت العداوة مستحكمة بين الفدعان وشمر وجيس ولم ينقطع شن الغارات وأخذ الثارات بينهم طوال عشرات السنين وحتى الى بعد احتلال الافرنسيين وتحت سمع ضباط العشائر وبصرهم الى ان تمكن هؤلاء من اقرار الصلح بين الفدعان وشمر في سنة ١٣٤٤ ! وانتهى الامر ، وبقي العداء بين الفدعان وجيس دون حل حتى الآن . وخاصمت الفدعان الرولة ايضاً وحاربتها بالاشتراك مع الاسبعة على أنهم ذوو قربى من عنزة . واشهر حروبهم حدثت حول سنتي ١٢٨٧ — ١٢٩٢ ، وكان وقتئذ عقيد الفدعان وفارسهم المغوار وداهيتهم في الحرب والسياسة جدعان بن مهيد جد الامير مجحم الحالي . وقد طار صيت جدعان ردحاً من الزمن وكاد يلقب بالأمير ، ثم خاصم الدولة العثمانية وقاتلها مراراً وهزم لها جنداً كبيراً في أنحاء بالس «مسكنه»

ساقه والي حلب المشير درويش باشا فرأت الدولة من سبل الارضاء والاخضاع ان تقطع جدعان عشرين قرية في انحاء جبل شبيث جنوبي بحيرة الجبول عله يستقر هو وعشيرته فيها ويتحضر ويكفيها شره . لكنه هو اكتفى بتسجيل هذه القرى على اسمه وصار يستثمرها بأيدي فلاحين حضر . ثم ورثها ابنه تركي الذي لم يكن لامع الذكر كأبيه ، ثم حفيده الحالي مجحم ، المعدود بحكم هذا الارث من كبار الملاكين ، وظلت الفدعان بادية الى يومنا هذا . وآل مهيد وان كانوا من بيوتات الفدعان ووجهائها ، لكن الرئاسة قبل جدعان ومنذ مئة سنة كانت في يد ابن غبين . ومن أعقاب هذا الآن شيخ احدى فرق الفدعان التابعة لابن قعيشيش . ولا يزال لأعقاب ابن غبين مكانة معروفة بين العشائر ويعدون من أهل الأختام . ذكر المقدم مولر الافرنسي انه لما نجح في سنة ١٣٤٤ في عقد الصلح بين الفدعان وشمر احتاج الأمر الى أن يؤتى بحفيد ابن غبين وقد كان صبياً ويحمل على توقيع ورقة الصلح .

والفدعان ذوو نجعة واسعة جداً تجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بين منطقتين يفصلها الفرات . ففي الصيف يقيظ قسم منهم في شرقي ديار حلب من بالس الى الرقة ، وقسم يعبر الفرات بقضه وقضيضه ويبعد الى غربي نهر البليخ وإلى حول تل ابيض . اما في الشتاء فنجعتهم تبلغ القعرة والحماد ، وحدهم الجنوبي الخط الممتد من السخنة الى وادي المياه . وفي كل سنة يشذ بعضهم عن هذه الخطة ويتوغل في بوادي العراق ، بينما رئيساهم مجحم وعبد العزيز يشتيان في بلاد الشام ولا ينجعان مع أعرابها .

وعدد الفدعان نحو ٣٣٠٠ بيت ، منهم ٢٠٠٠ وِلْد (ربع ابن مهيد) و ١٣٠٠ ضنا ماجد (ربع ابن قعيشيش) ، وثمة عدد كبير من الفرق الصغيرة المنتسبة لأرومات اخرى تلتحق بالفدعان وتلوذ بها ، وهي تتكل في الاحتماء من أعدائها على شخص مجحم وسلطته . وهذه مثل بعض الاسبعة ٢٠٠ بيت والبوخميس والعمور وكيار ولهيب وهم نحو ٤٠٠ بيت . وجميعها يشرق ويغرب مع الفدعان . ونجمع الفدعان ولواحقها زهاء ١٥٠٠٠ نفس ، ولا يخلو بيت من بندقية . وقد كانت الفدعان راعية ابل فحسب ، ثم قضت تطورات هذا العصر ان تميل نحو الغنم فصار عندها نحو

٥٥ — ٦٠ الف شاة · وبعد ان كانت لا تدفع من الضرائب سوى الودي صارت كغيرها من العشائر « الرعية » تعد الاغنام، وقد ادت في سنة ١٣٤٤ من الليرات الذهبية ٣٣٠٠

ليس للفدعان رئيس واحد منذ ان مات الجد الأعلى لعبيد بن غبين النايف · فقد انقسمت العشيرة الى جمعين يدعونهما ربعين لكل منهما رئيس مستقل مسؤول تجاه الدولة · وقد ظل الجمعان متعاديين سنين طويلة · فالربع الأول (الوِلْد) في مشيخة مجحم بن مهيد ، والثاني (الخرصة) او (ضنا ماجد) في مشيخة مزود بن قعيشيش والآن ابنه عبد العزيز · فمجحم بن تركي بن جدعان آل مهيد وضبط البارون اوبنهايم اسمه بالقاف (مقحم) يلقب الآن بالأمير ، وعده المقدم مولر ابرز رجالات البادية دون منازع ، وهو في الواقع اعلى الرؤساء قدراً ونفوذاً في البادية وأوفرهم حرمةً في الحاضرة وأوسعهم معرفةً واشتراكاً بأمور الادارة والسياسة في بلاد الشام وغيرها · وفي عهد الملك فيصل كان منحازاً الى فرنسا وأفتى بانتدابها أمام اللجنة الاميركية وخدمها وآزرها في اخضاع انحاء الفرات ودير الزور سنة ١٣٤٠ فمنحته نيشان جوقة الشرف من درجة فارس وجعلته نائباً في المجلس التمثيلي سنة ١٣٤٧ · ثم بدا له أن ينحاز الى جانب الوطنية الشامية فصار من أقوى أنصارها ولا يزال · وقد صاهر مجحم آل الشعلان رؤساء الرولة وأنجب من زوجته الرويلية أولاداً علم اكبرهم النوري وهو ولي عهده في مدرسة تجهيز حلب كما علم عجيل الياور شيخ مشايخ شمر العراق ابنه صفوق في جامعة بيروت الاميركية فخلف هذا أباه في المشيخة · وصار يرجى ان يحتذي بقية الرؤساء أثر هؤلاء في تعليم أبنائهم وان يزداد الميل لدى رجالات البادية نحو الحضارة والثقافة · (الفرق) يقال ان عمود نسب الفدعان ينقسم الى ثلاثة : ١ · — (ضنا منيع) وفيه فرق المهيد والشميلات والروس ٢ · — (ضنا فريد او فريف) وفيه فرق الساري في مشيخة ابن حريميس والعجاجرة في مشيخة ابن جاعد · وتتبعهم فرق الحمانيش والجدعان والقشور · ويجمع اسم الولد كلا الضنائين · وكل الولد هم ربع الأمير مجحم بن مهيد · ومن الغرباء الملحقين بالولد فرقة من العوازم وأخرى من العمور (عمور الجراح) ، ٣ · — (ضنا ماجد) او (الخرصة) ورئيسهم عبد العزيز

ابن مزود بن قعيشيش . وفي هذا الضنا عدة فرق شديدة التباين بعضها عن بعض وينجع كل منها وحده ولا يعترف أحدها بما يقره الآخر ويصالح عليه خصومه . واسماء هـذه الفرق الموير والجفل والملحود والرمث والمكاثرة والخدلات والخشنة والفبين والعواد والجدعة .

ويلتحق بالخرصة أعراب (ولد سليمان) وهؤلاء آخر فخذ من عنزة ورد من قلب الجزيرة الى الشام . ولا يزال قسم كبير منهم متخلفاً هناك ، ومنازلهم كما جاء في كتاب جزيرة العرب لفؤاد حمزة بين تيماء وخيبر وبيضـاء نثيل ، ورئيسهم العام العواجي . وقد وفد بعض هؤلاء المتخلفين في سنة ١٣٣٩ وانضم مدة مديدة الى مجحم ، ثم انضم في سنة ١٣٤٣ الى مزود . لكنهم وثبوا على قافلة عسكرية افرنسية في سنة ١٣٤٤ في موقع أبي هريرة على الفرات . فأدى هذا الى ان تدفع عشيرة الفدعان غرامةً باهظةً . ومن ثم عاد هؤلاء الى شمالي الحجاز وجروا معهم البيوت التي اشتركت في هذه الفعلة . وولد سليمان في ديار الشام يتألفون من فرق الخمشة والسليمات والغضاورة ، وهؤلاء يلتحقون عادةً بفرقة الغبين . ويقول المقدم مولر ان مزود بن قعيشيش لم يكن من أصل عنزي بل ان جده شمري ، وهو قد تطاول على الرئاسة منتهزاً فرصة صغر ابن غبين او عجزه . وكان لمزود شهرة طائلة في البسالة وقيادة الحروب ويسمونه النمر ، ومنذ أن منع الافرنسيون الغزو قلت مكانته هو وأمثاله من أبطال البادية الى ان مات وخلفه الآن ابنه عبد العزيز .

ويقول فؤاد حمزة في كتابه المذكور ان من عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها في العارض والحريق والحوطة والافلاج والسدير والداخلة وفي القصيم وبريدة ، وان بعض عنزة يقطنون في هجر (جمع هجرة بمعنى مستعمرة) أنشأها لهم الملك عبد العزيز بن سعود .

(يتبع)　　　　**وصفي زكريا**

جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٥ —

حدثنا أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب ، قال حدثني أبو بكر الجعابي[1] الحافظ ، قال : دخلت يوماً على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر وهو مغموم حزين ، فقلت له : لا يغم الله القاضي ، فما الذي أراه ؟ فقال : مات يزيد المانى[2] فقلت يبقي الله قاضي القضاة أبداً ، ومن يزيد حتى إذا مات اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك ، مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له ولا أحد يقاربه في حذقه ؟ وهل فخر البلد إلا بكثرة كون الرؤساء الصناع وحذاق أهل العلم فيه فاذا مضى رجل لا مثل له في صناعته ولا بد للناس منها فهل يدل هذا إلا على نقصان العالم وانحطاط البلدان ؟ ثم قال بعد ذلك وأخذ يعدد فضائله والأشياء الطريفة التي عالج بها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، وذكر من ذلك أشياء كثيرة لم يتعلق أكثرها بحفظي ، قال وكان منها أن قال : لقد أخبرني منذ مدة طويلة رجل من جلة أهل هذا البلد انه كان قد حدث بابنة له علة طريفة[3] فكتمت عنه ، ثم اطلعته عليها فكتمها هو مدة ، ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت ، قال

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢ — ١٠١ (٢) في الفرج : المائي . (٣) طريفة: غريبة نادرة

فقلت لا يسعني كتمان هذا اكثر من هذا، قال فكانت العلة أن فرج الصبية يضرب عليها ضرباً عظيماً لاتنام منه الليل ولا تهدأ النهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر ولاورم كثيرمزيد(؟)قال فلما خفت المأثم أحضرت يزيد فشاورته، فقال: تأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه؟ قلت نعم، فقال لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي واسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة، قال فعظمت الضرورة وبلوغها التلف فمكنته من ذلك فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبرت ورجعت إلى ما اعرفه من ستره، فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها، ففعلت ثم أدخل يده إلى الموضع دخولاً شديداً فصاحت المرأة وأغمي عليها وانبث الدم وأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به، فجلست الجارية في الحال واستترت وقالت يا أباه استرني فقد عوفيت، قال فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته وقلت أخبرني ما هذا؟ فقال ان تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها انما كانت اطلب[1] شيئاً استدل به على سبب العلة إلى ان قالت لي: انها في يوم من الأيام جلست في بيت دولاب بقر من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير معرفة من ذلك اليوم فخلت أنه قد دب إلى فرجها من القراد التي تكون على البقر وفي

(١) في الفرج: لا طلب

بيوت البقر قراد قد تمكن من أول داخل الفرج فلما امتص الدم من موضعه ولد الضربان وانه إذا شبع نقط من الجرح [١] الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقط اليسيرة من الدم فقلت ادخل يدي وأفتش فأدخلت يدي فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان قد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمتص من الدم على طول الأيام ، قال وأراني الحيوان وإذا هو قراد قال وبرئت الصبية . قال فقال لي ابو الحسين القاضي : فهل ببغداد اليوم من له في الصناعة مثل هذا أوما يقاربه فكيف لا اغتم بموت من هذا بعض حذقه ؟

* * *

حدثنا [٢] ابو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البغدادي [٣] الاسدي قال : حدثني ابو موسى عيسى ابن عبيد الله البغدادي قال : حدثني صديق لي قال : كنت قاصداً للرملة وحدي ، فانتهيت اليها وقد نام الناس ليلاً ، فعدلت الى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور ، وطرحت درقة كانت معي فاتكأت [٤] عليها ، وعلقت سيفي اريد النوم لأدخل الى البلد نهاراً . فاستوحشت من الموضع وأرقت ، فلما طال أرقي احسست بحركة ، فقلت لصوص يجتازون ، فان قصدت لهم فلم آمنهم ولعلهم أن يكونوا جماعة فلا اطيقهم ، فانخزلت [٥] مكاني ولم اتحرك واخرجت رأسي من بعض ابواب القبة على تخوف شديد ، فرأيت دابة كالدب [٦]

(١) بالأصل : الخروج (٢) الفرج بعد الشدة ٢ : ٥٢ (٣) في الفرج : البصري
(٤) بالأصل : فانكب (٥) في الفرج : فانعزلت (٦) في الفرج : كالذئب

يمشي ، فأخفيت نفسي ، فاذا به قد قصد قبة حيالي قريبة مني ، فما زال يلتفت طويلا ويدور حولها ويلتفت ساعة ثم دخلها ، فارتبت[1] به وانكرت فعله وتطلعت نفسي الى علم ما هو عليه ، فدخل القبة وخرج غير متأبت[2] ، ثم دخل وخرج بسرعة دفعات ، ثم دخل وعيني عليه ، فضرب يده[3] الى قبر في القبة ليحفر ، فقلت نباش لا شك فيه وتأملته يحفر بيديه ، فعلمت ان فيها آلة حديد يحفر بها ، فتركته الى ان اطمأنّ واطال وحفر شيئاً كثيراً ، ثم اخذت سيفي ودرقتي ومشيت على اطراف اناملي حتى دخلت القبة ، فاحس بي وقام الي بقامة انسان واومأ اليّ ليلطمني بكفه ، فضربت يده بالسيف فأبنتها وطارت ، فصاح اوّاه قتلتني لعنك الله ، وعدا من بين يدي وعدوت وراءه ، وكانت ليلة مقمرة ، حتى دخل البلد وانا وراءه ولست الحقه ، الا انه بحيث يقع بصري عليه ، الى ان اجتاز في طرق كثيرة ، وانا في خلال ذلك اعلّم الطرق لئلا أضل ، حتى جاء الى باب دار فدفعه ودخل وغلقه وانا اتبع ، فعلّمت الباب ورجعت اقفو الاثر والعلامات التي علمتها في طريقي حتى انتهيت الى القبة التي كان فيها النباش ، فطلبت الكف فوجدتها واخرجتها الى القمر ، فبعد جهد انتزعت الكف المقطوع من الآلة الحديد ، فاذا هي كف كالكف ، وقد ادخل اصابعه في الاصابع ، واذا هي كف فيها حنّى نقش[4] وخاتما ذهب ، فحين علمت انها امرأة اغتممت وتأملت الكف واذا احسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمناً

---

(١) الكلمة مطموسة بالأصل (٢) في الفرج : مطيل ثم جعل ينظر ثم دخل

(٣) في الفرج : بيده . (٤) بالأصل نقس وفي الفرج نقش حنا

وملاحة ، فمسحت الدم منها ونمت في القبة التي كنت فيها . ودخلت البلد من غد اطلب العلامات حتى انتهيت الى الباب ، فسألت لمن الدار ؟ فقالوا لقاضي البلد ، واجتمع عليها خلق وخرج منها رجل شيخ بهي فصلى الغداة بالناس وجلس في المحراب ، فازداد عجبي من الأمر وقلت لبعض الحاضرين: بمن يعرف هذا القاضي ؟ فقال : بفلان ، فأطلت الحديث في معناه حتى عرفت ان له ابنة عاتق[1] وزوجة ، فلم اشك ان النباشة ابنته ، فتقدمت اليه وقلت له : بيني وبين القاضي — اعزه الله — حديث لا يصلح الا على خلوة ، فقام الى داخل المسجد وخلا بي وقال قل ، فأخرجت اليه الكف وقلت : انعرف هذه ؟ فتأملها طويلا وقال : اما الكف فلا ، واما الخواتيم فخواتيم أبنة لي عاتق ، فما الخبر ؟ فقصصت عليه الحديث فاسره[2] وقال قم معي ، وادخلني داره وغلق الباب ، واستدعى طبقا وطعاما واستدعى امرأته ، فقال له الخادم : تقول لك كيف اخرج ومعك رجل غريب ؟ فقال : لا بد من خروجها تأكل معنا فهذا من لا احتشمه ، فأبت عليه فحلف بالطلاق لتخرجي[3] فخرجت باكية ، فجلست معنا ، فقال لها أخرجي ابنتك ، فقالت يا هذا ! قد جننت فما الذي حل بك ؟ فقد فضحتني وانا امرأة كبيرة ، فكيف تهتك صبية عاتقا ؟ فحلف بالطلاق لتخرجنها ، فخرجت . فقال كلي معنا ، فرأيت صبية كالدينار المنقوش ما مقلت مقلتاي مثلها ولا احسن منها ، الا ان لونها اصفر جداً وهي مريضة ، فعلمت ان الذي لحق يدها مذ[4]

(١) يريد عاتقاً (٢) في الفرج : بأسرها (٣) في الفرج لتخرجن .

(٤) في الفرج : فقلت ان ذلك لنزف الدم من يدها

فعل بها ذلك. فأقبلت تأكل بيمينها، وشمالها مخبوة، فقال اخرجي اليسرى، فقالت قد خرج فيها خراج عظيم وهي مشدودة، فحلف لتخرجنها، فقالت امرأته: يا رجل! استر على نفسك وعلى ابنتك، فوالله (وحلفت بايمان كثيرة) ما اطلعتُ لهذه الصبية على سوء قط الا البارحة، فانها جاءتني بعد نصف الليل فايقظتني وقالت يا أمي الحقيني والا تلفت، فقلت لها مالك؟ فقالت قد قطعت يدي وهو ذا انزف الدم والساعة اموت فعالجيني، واخرجت يدها مقطوعةً فلطمتُ[1]، فقالت لا تفضحيني ونفسك بالصياح عند أبي والجيران وعالجيني، فقلت لا أدري بما اعالجك، فقالت خذي زيتا فاغليه واكوي به يدي، ففعلتُ ذلك وكويتها وشددتها. وقلت: الآن حدثيني ما دهاك، فامتنعت، فقلت: والله لئن لم تحدثيني لاكشفن امرك الى ابيك، قالت انه وقع في نفسي منذ سنتين ان انبش القبور، فتقدمتُ الى هذه الجارية، فاشترت لي جلد ماعز غير محلوق الشعر واستعملتُ لي كفين من حديد، وكنت اذا نمتم افتح الباب وآمرها ان تنام في الدهليز ولا تغلق الباب، والبس الجلد والكفين الحديد وامشي على اربع فلا يشك من لعله يراني من سطح او غيره اني كلب، ثم اخرج الى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من الجلة واين قد دفن، فاقصد قبره فانبشه وآخذ الأكفان فادخلها في الجلد، وامشي مشيتي واعود، والباب غير مغلق فادخل وأغلقه، وانزع تلك الآلة وادفعها الى الجارية مع ما قد اخذته، فتخباه في بيت لا تعلمون به، وقد اجتمع ثلثمائة كفن او ما يقاربها

(١) لعله سقط: وجهي

لا أدري ما أصنع بها ، الاني كنت اجد لذلك الخروج والفعل لذة لا سبب لها اكثر من ان صانتني لهذه[١] المحنة ، فلما كان الليلة ، تسلط عليّ رجل احس بي ، وكان كأنه جالس او حارس لذلك القبر ، فحين بدأت انبشه جاءني فقمت لاضرب وجهه بكفي الحديد فاشغله بها عني واعدو وانجو ، فداخلني بالسيف فضربني ، فتلقيت[٢] الضربة بشمالي فأبان كفي . فقلت لها: أظهري انه قد خرجت[٣] على كفك خراج وتعاللي ، فان الذي بك من صفار يصدّق قولك ، حتى اذا مضت ايام قلنا لأبيك لا بدان تقطع يدك والا خبث جميع بدنك فتلفت ، فيأذن لنا في قطعها فنوهم انا قطعناها (من) جديد وينستر امرك ، فعملنا على هذا بعد ان استتبتها فتابت وحلفت بالله لاعادت ، وكنت[٤] على بيع هذه الجارية ، واراعي فيما بعدُ مبيتَ هذه الصبية وابيتها جانبي ، ففضحتني انت وفضحت نفسك . فقال لها القاضي : ما تقولين ؟ فقالت : صدقت امي ووالله لا عدت ابداً وتابت . فقال لها القاضي : هذا صاحبك الذي قطع يدك ، فكادت ان تتلف جزعاً . ثم قال : يا فتى ! من اين انت ؟ فقلت رجل من أهل العراق ، قال ففيم وردت ؟ قلت[٥] اطلب الرزق ، فقال قد جاءك حلالاً هنيئاً ، نحن قوم مياسير ولله علينا ستر فلا تهتكه ، والله ما علمت بهذا من حال ابنتي ، فهل لك ان تتزوجها واغنيك بمالي عن الناس وتكون معنا وفي دارنا ؟ قلت نعم . فرفع الطعام وخرجنا إلى

(١) في الفرج : اصابتني هذه المحنة (٢) في الفرج : فتوقيت (٣) في الفرج : خرج
(٤) في الفرج : وكنت عولت على ان ابيع الجارية (٥) بالأصل : فيما وردت هنا : والصواب في الفرج

المسجد والناس مجتمعون ينتظرونه ، فخطب وزوجني ، وقام رجع فادخلني الى الدار ، ووقع حب الصبية في نفسي حتى كدت اموت عشقاً لها ، وافترعتها واقامت معي شهوراً وهي نافرة عني ، وأنا اونسها وأبكي حسرة على يدها واعتذر اليها ، وهي تظهر قبول عذري ، وان الذي بها غمّاً على يدها[1] الى ان نمت ليلة وانبسطت في نومي على رسمي ، فاحسست بثقل على صدري شديد ، فانتبهت جزعاً فاذا بها باركة على صدري و ركبتها على يدي مستوثقة ، وفي يدها موسى وقد اهوت لتذبحني ، فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر ، وخشيت ان تبادرني فسكنت ، فقلت لها كلميني واعملي ما شئت ، ما الذي يدعوك الى هذا ؟ قالت أتظن انك قطعت يدي وهتكتني وتزوجت بي وتنجو سالماً؟ والله لا كان هذا ، فقلت الذبح قد فاتك ولكنك تمكنين من جراحات توقعينها بي ولا تأمنين ان افلت فاذبحك ،واهرب[2] واكشف هذا عليك ثم اسلمك الى السلطان فيكشف جنايتك الأولى والثانية ويبرأ[3] منك أهلك وتقتلين . فقالت افعل ماشئت فلا بد من ذبحك ، وقد استوحش كل منا من صاحبه ، فنظرت واذا الخلاص منها يبعد عليّ ولا آمن ان تجرح موضعاً من بدني فيكون فيه تلفي ، فقلت الحيلة اعمل فيها ، فقلت او غير هذا ؟ فقالت قل ، فقلت اطلقك الساعة وتفرجين عني واخرج من البلد فلا تريني ولا اراك ابداً ولا ينكشف لك حديث في بلدك ولا فضيحة وتتزوجين من شئت ، فقد شاع عند الناس ان يدك قطعت لخراج خبثها

(١) في الفرج : وان الذي بها غمّاً على يدها يزيدها حنقاً عليّ (٢) الاصح او اهرب (٣) في الفرج : ويتبرأ منك ابوك وأهلك

وتربحين الستر ، فقالت تحلف انك لا تقيم في البلد ولا تفضحني في[1] ابداً ؟ فقال حلفت بالأيمان المغلظة ، فقامت عن صدري تعدو خوفاً من أن اقبض عليها حتى رمت الموسى بحيث لا أدري ، وعادت فاخذت تظهر بان الذي فعلته مزاحاً[2] وتلاعبني ، فقلت اليك عني فقد حرمت عليّ ولا تحل ملامستك وفي غد اخرج عنك ، فقالت الآن علمت صدقك ووالله لو لم تفعل لما نجوت[3] من يدي ، وقامت فجاءتني بصرة وقالت هذه مائة دينار خذها نفقة واكتب رقعة بطلاقي ولا تفضحني واخرج ، فخرجت من سحرة ذلك اليوم بعد ان كتبت الى ابيها اني قد طلقتها واني خرجت حياء منه ولم التق بهم الى الآن .

ابو المغيرة راوي هذا الخبر شاعر طويل اللسان مطبوع هجّاء وله مدائح كثيرة وديوان واسع وانشدني لنفسه اشياء منها :

عرضني للردى هواهُ مَنْ معدن السحر مقلتاهُ
انّي[4] لوى نحوه فؤادي صدغ على الخد قد لواه
كأنه عقرب ولكن يلسع كل الورى سواه
يا عاذلي في هواه رفقاً عذري من الحسن ماتراه

* * *

حدثني الأستاذ ابو أحمد الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب المعروف بالزنجي[5] قال : رأيت في المنام ذات ليلة — وانا اذ ذاك اخلف سهل بن بشر على اعمال الاهواز — كأني قد خرجت الى بعض الصحاري ، فصعدت جبلاً شاهقاً

(١) لعله : فيه (٢) في الفرج : مزاح (٣) بالأصل : سخرت (٤) مطموس بالأصل
(٥) يظهر من الحكاية ان اسم الرجل الدلجي .

فلما بلغت ذرونه قربت من القمر اوقرب القمر مني حتى لمسته بيدي، وكأن في يدي خشبة قد أدخلتها فيه وأنا اخضخضها فيه حتى نقبته وقطعته قطعاً، ثم أخذت بتلك الخشبة غيما كان قريباً من القمر، فما زلت الطخه حتى طينته كله، وكأنَّ صاحباً لي يقول ما تصنع؟ فقلت له قدقتلت القمر وانا اطينه بهذا الغيم، وانتبهت فاشتغل بذلك قلبي، فبكرت الى ابي الحسن احمد ابن عمر الطالقاني الكاتب، فلما رآني قال: رأيتُ لك البارحة مناماً طريفاً واردتُ ان اجيئك الساعة فأفسره لك، فقلت فاني رأيت البارحة مناماً قد شغل قلبي فجئت لأحدثك به، فقال مارأيت؟ فقصصت عليه الرؤيا. فقال لا تشغل قلبك بها، فستلي مكان سهل بن بشر وتحتوي على منزله عن قريب، فقلت من أين لك هذا؟ وما الذي رأيتَ أنت؟ فقال: رأيت البارحة في منامي كأني مجتمع مع رجل صالح قد هُجس في نفسي انه بعض الصحابة أسأله ان يدعو الله عز وجل لي، فقال لي: الدلجي صديقك؟ فقلت نعم، فقال بل[1] له: الأهواز وقف عليك فاتق الله ولا تؤذي[2] زوجتك، ولا شك ان هذا المنام تفسير منامك. فاستكتمته المنام وافترقنا، وعدنا[3] وما كنت أرى انني اوذي زوجتي في شيء الا في تسري الجواري، وكانت عندي واحدة منهن قد أقامت نحو سنة وكادت أن تغلبها علي، فبعتها على مشترٍ في الحال ووهبت ثمنها لزوجتي وكانت الوف دراهم. فلما كان بعد ذلك بسنة اكثر أو أقل، ورد الوزير ابن بقية الأهواز مع عز الدولة وقبض على

(١) لعله: قلْ (٢) يريد لا تؤذِ (٣) لعله وعدت إلى منزلي

القائد بختكين آزادرويه والأتراك وسهل بن بشر ، ثم أطلق القائد وسمي بالحاجب الأجلّ ، ورُدّت الضمانات اليه وقلّدني مكان سهل بن بشر ، فما زال في حبس ابي أحمد مدة ، ثم أخذه من يده وحمل إلى بغداد ، وحدث من ملك الامير عضد الدولة بغداد ما حدث ، فاطلق وقلد عسكر مكرم وتستر وجند يسابور واعمال ذلك ، ونكب ابا أحمد وألزمه مالاً فلزم منزله بالأهواز وكان يؤدي المال الى أن خالف سهلُ بن بشر ودخل الاهواز بالجيش داعياً إلى عضد الدولة[1] ومعهم أبو أحمد خوفاً على مهجته من سهل بن بشر ، وأقام بأرجان سنة وشهراً ، ثم واطأه الديلمي بالاهواز على أن يشغبوا ويقولوا انهم لا يرضون ان يكون الوزير[2] وزيراً ، ولا يقنعون إلا بصرفه وتقليد غيره الوزارة ، والا لم يرضوا بامارة الأمير عضد[1] الدولة ، واستحلف القواد وسائر الجيش بكور الأهواز وبايعوه عليه وحلفوا له ، وأظهروا[3] انه يريد المسير الى بغداد للمطالبة بذلك ، وذلك في شعبان سنة ٣٦٥ فانكر ذلك الأمير عز الدولة وانفذ ابراهيم بن اسماعيل من أجلّ حجابه برسالة الى الديلم ، فندموا على ما فعلوا واذعنوا بالطاعة ، فقبض على سهل بن بشر وحمله الى بغداد الى الأمير عز الدولة فخلع عليه[4] وحمله[5] الاهواز والياً لها ولكورها ، فصارت الاهواز كالوقف عليه لا يصلح لها غيره ولا يعرف فيها عند الحاجة سواه .

* * *

(١) راجع تجارب الأمم ٢:٣٥٧ يظهر ان المؤلف كتب عضد الدولة مكان عز الدولة
(٢) يعني ابن بقية (٣) لعله واظهر (٤) يريد على ابي أحمد (٥) قد سقط : الى

حدثني أبو مسلم محمد بن احمد بن مهدي الاصبهاني الكاتب قال : رأيت في المنام — وقت استحلاف سهل بن بشر القواد والديلم على الشغب والمطالبة بصرف الوزير الناصح نصير الدولة —[1] كأني قد خرجت الى صحراء عظيمة ، فرأيت معسكراً هائلاً بالخيم والشرع والفازات[2] ، وفي وسطه نهر يسقيه وعلى حافتي ذلك النهر غائط عظيم ، وجميع أهل ذلك المعسكر من القواد وغيرهم قد اجتمعوا يأكلون من تلك العذرة ، فجاء الحاجب الأجل من بينهم وقد أكل من تلك العذرة ، فغسل فاه وما حواليه بالماء وتمضمض وركب ، ولم يفعل الباقون ذلك ، وكأني أعجب من هذا اذ وقعت عيني على شراع فوق سطح فقلت لمن هذا الدلجي ؟ —قال وابو احمد الدلجي اذ ذاك بأرجان — فقالوا هذا له وقد قدم ، فقلت أمضي وأراه وأسلم عليه ، فتوجهت الى ان بلغت الى اسفل الموضع الذي فيه الشراع ، فهبت ريح عظيمة فقطعت تلك الخيم التي كانت في المعسكر ، فما رأيت منها شيئاً باقياً ، فنظرت فاذا نساء وصبيان ورجال وشيوخ يسكون الشراع ، فقلت من هؤلاء ؟ فقال لي قائل هؤلاء الطالبيون يمسكون شراع الدلجي حتى لا تقلعه الريح وانتبهت فقصصت من غد الرؤيا على سيما الدرعي صاحب الشرط ، وقلت هذا الذي فيه لهؤلاء لا يجيء منه شيء ، سيلي الدلجي ويجيء من أرجان ، فقال ويحك ما تقول ؟ فقصصت عليه الرؤيا ، فقال احسان الدلجي الى الطالبيين هو الذي يأخذ بيده ، فما كانت الا أيام حتى ورد ابراهيم الحاجب فقبض على

(١) لقب ابن بقية راجع تجارب الأمم ٢: ٣٥٥ (٢) جمع فازة وهي المظلة بعمودين

سهل بن بشر وحمله مقيداً وسائر الجيش [١] الى بغداد . فأما الحاجب الأجلّ بختكين فقد كاتب الامير والوزير بالخبر وأشار بمعاجلة سهل بن بشر والقبض عليه ، وذكر انه خالفه اشفاقاً من وثوب الديلم عليه . فنجا من المحنة بذلك الفعل ، وكان ذلك تأويل مضمضته وغسله فاه من العذرة ، وأما الباقون الذين غمره [٢] ذلك الامر فكانوا الحسين بن احمد بن كندار القائد الديلمي وبكيداد [٣] بن سليمان القائد الجيلي ، فلما حصلا بواسط قبض عليهما ونفيا وأُخذت نعمتهما ، وورد ابو احمد الدلجي الحضرة فتقلد الأهواز وكورها فكان يحدثنا بهذا بحضرة ابي احمد بعد دخوله الاهواز بمدة « استربته بشيء آخر في أيام سهل بن بشر [٤] » .

* * *

سمعت أبا محمد المهلبي يملي كتاباً الى سعد بن عبد الرحمن — وهو اذ ذاك ضامن عمالة البصرة منه في شركة ابي الحسين احمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين الاهوازي وابي علي الحسن بن علي بن مهدي الاصبهاني ابن اخت سعد بن عبد الرحمن — يخاطبه في معنى المال وتأخره وحثه بخطاب جميل بين اللين والخشن وقال في آخره : لو سكتّ عن مطالبتك بالمال ماسكت الامير معز الدولة ، فيجب أن تؤديه محموداً خيراً من أن تؤديه مذموماً ، فاعمل على اني صديق أشرت بأدائه ومدافعته عنك بهذا القدر ما كنت أغلو عليه [٥] به ، فان من أرضى أَصدقاءه في أيام النعم أرضوه في ايام المحن ،

(١) لعله وسار بالجيش أو انه معطوف على حمله (٢) لعله غمرهم (٣) اسمه عند مسكويه تكيدار (٤) لست أري لهذه الجملة معنى (٥) لعله عليك

واعلم أنه ليس بين مخاطبتي لك وبين ان اخاطبك بضدها بما يخاطب به العمال المخاطبون المطالبون الملطون[1] والمعاملة بما يقتضي ذلك الى[2] أن يرِدَ جواب كتابي فارغاً من ذكر حمل المال ، وأعوذ بالله ، فاختر لنفسك او فدع والسلام .

* * *

سمعت أبا محمد المهلبي يقول يوماً في شيء جرى في بيته من ذكر الكرم والكلام عن[3] جماعة من الناس : سيستر عليه ما تكشفه النوائب من سرائه[4] .

* * *

حدثني أبو محمد داسه قال : حدثنا أبو العباس احمد بن اسحاق الآمدي ويعرف بابن أبي صفوان شيخ كان يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي على القضاء بواسط وأعمالها وعلى أعمال كور الأهواز في أوقات متفرقة قال أخبرني من حضر مجلس أبي عمر القاضي وقد دخل اليه ابن غسان صهره ، فقال له من أين أقبلت ؟ فقال من عند فلان ، فقال ابو عمر : إعظام من لا دين له ولا دنيا عنده حمق .

* * *

حدثنا ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين الشاهد البغدادي – وقد تولى القضاء بغير[5] مصر من قبل قاضي القضاة وهو مشهور المحل – قال : كنت عند سلامة أخي نجح الطولوني وأنا شابّ وفي مجلسه جماعة يذمون

(١) ألط الغريم منع من الحق (٢) لعله : إلاّ (٣) لعله : عند (٤) لعله : شراته (يعني مساويه) (٥) لعله : بديار أو انه يغير مصر يريد بأكثر من مصر كما يقال اليوم

البخل ، وكان سلامة ينسب الى البخل وما كان بخيلاً وانما كان محصلاً لحاله مصلحاً لماله ، فلما انصرفوا قال يا ابا القاسم ! لا تسمع هذا الكلام ولا تعوّل عليه فتهلك ، واعلم ان البخل خير من مسألة البخيل . قال وكنت عنده في آخر كونه ببغداد وقبل دخول الديلم إياها وبحضرته قوم يطعنون على الشهود ويعيبونهم فقال لهم سلامة : ما رأيت اعجب من امركم ، من فيكم يطمئن ان يشتري من ابنه او من أخيه ضيعة بعشرة آلاف دينار ولا يشهد عليه العدول؟ فقالوا ما فينا أحد بهذه الصورة ، قال افتستظهرون [1] لأنفسكم وأعقابكم في هذا القدر الكثير من المال وما هو اكثر منه إلا بالشهادة وتعتاضون بخطوطهم في جلد يساوي دانق فضة من ذلك المال العظيم حتى تأخذوا الصك بدلاً من المال فتجعلونه تحت رؤوسكم لشدة حفظه ؟ قالوا نعم ، قال فمن كان هذا حكمه عندكم لِمَ تطعنون فيه ؟

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن الحسن بن رجا بن ابي الضحاك وكان يعرف بالديناري لأن امه دينار [2] تتقرب الى امرأة ابي علي بن مقلة المعروفة بأم الفضل الدينارية ، وسمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يحدث بهذا الحديث واللفظ يقارب ، قالا كان ابو علي بن مقلة يوماً يأكل فلما شيلت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوا الذي اكله ففتح الدواة واستمد منها بيده ونقطها على الصفرة حتى لم يبق لها أثر وقال : ذاك عيب وهذا أثر صناعة ثم أنشد :

---

(١) بقتضي المعنى : افلا تستظهرون (٢) لعله دينارية

إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدويّ عطر الرجالِ

أنشدني لنفسه :

وأشجار نارنج كأنّ ثمارها حقاق عقيق قد ملين من الدرِ
تطالعنا بين الغصون كأنها خدود العذارى من ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريّاً حبيبه فهاجت له الاحزان من حيث لا يدري

وأنشدني لنفسه أيضاً في النارنج :

شجر كأيام الشبا ب تعجلت قبل المشيبِ
وكأنما نارنجها وجه الحبيب على رقيب
تهدي اليك جميع ما ارضاك[1] من حسن وطيب
لِمَ لا تحن لها القلو ب وقد غدت مثل القلوب

أنشدني ابو الحسن احمد بن عبيد الله البغدادي المعروف بالنديمي لنفسه :

أنظر الى النارنج في اغصانه نُزَهاً لأعيننا وعطراً في اليدِ
ككباب[2] نار في قباب زبرجد متوقد بالطيب اسيء توقّد
ورق كآذان الجياد قدودها قد أُثقلت بقلائد من عسجد

* * *

(يتبع)

(١) في الأصل آذاك وهو غلط (٢) لعله جمع كبة وهي كبة الغزل

مخطوطات ومطبوعات

تحصيل غرض القاصد

في تفصيل المرض الوافد

هذا كتاب طريف في موضوعه ، غريب في وضعه وتنسيقه ، ألفه أبو جعفر احمد ابن خاتمة الأندلسي ، وقد سئل وضعه سنة سبع واربعين وسبعمائة [1] ، خلال الوباء

---

(١) وفي تذكرة الصفدي : قلت وقد عمّ الفناء في سنة تسع واربعين وسبعمائة . وكان من قطيا الى بيروت ومعظمه بغزة :

قد قلت للطاعون وهو بغزة قد جال من قطيا الى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها وحكمت يا طاعون بالطاغوت

وقلت أيضاً وقد بلغني في العام خبر جماعة من الأصحاب بأنهم توفوا في صفد :

لما افترست صحابي ياعام تسع واربعينا
ما كنت والله تسعاً بل كنت سبعاً يقينا

قلت وقد أفرط الطاعون بدمشق وقتل خلقاً كثيراً بالحبة التي اشتهر امرها :

أسفي على أكناف جلق اذ غدا الـ ـطاعون فيها ذا زناد وار
الموت ارخص ما يكون سجية والظلم زاد فصار بالقنطار

وقلت أيضاً :

رعى الله عصراً قد تولى يجازي بالسلامة كل شرط
وكان الناس في غفلات أمر فجا طاعونهم من تحت إبط

وقلت وقد كان يقتل بطلوع بثرة خلف الأذن :

تعجبت من طاعون جلق اذ غدا وما فات الآذان وقعة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعاً على أنه قد مات من خلف أذنه

وقلت وقد كان يقتل بطلوع خيارة في الاربية :

ثلّ هذا الطاعون عرش دمشق بقضاء من ربنا سبحانه
فلكم مات بالخيارة شخص كان يبدو كأنه ريحانه

وقلت وقد كان يقتل بان يبصق الانسان دماً :

يارحمتا لدمشق من طاعونها فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه او ما تراه بغير سكين ذبح

وقال : دارت من الطاعون كاس الفنا فالنفس من سكرته طافحه —

الذي ظهر في المرية من بلاد الأندلس ، وهو الوباء الذي عم بلاؤه المعمور كله ، لم يسلم منه شرق ولا غرب ، وسماه الافرنج بالطاعون الاسود La peste noire والمؤلف كما وصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة بأخبار غرناطة صدر يشار اليه ، متفنن مشارك ، قوي الإدراك ، سديد المنظر ، قوي الذهن ، موفر الأدوات ، كثير الاجتهاد ، معين الطبع ، جيد القريحة ، بارع الخط ، ممتع المجالسة ، حسن الخلق ، جميل المعاشرة ، حسنة من حسنات الاندلس ، وطبقة في النظم والنثر ، بعيد المرقى في درجة الاجتهاد ، وأخذه بطرق الإحسان ، عقد الشروط ، وكتب عن الولاة ببلده ، وقعد للإقراء ببلده ، مشكور السيرة ، محمود الطريقة في ذلك كله . قال وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة .

قسم ابن خاتمة كتابه على عشر مسائل ، وجزأه على بضعة فصول ، تكلم في المسألة الأولى على سبب تسمية هذا المرض بالوافد قال : فظاهر كلام الأطباء انها (اي الأمراض) وإن كان عنها موت ، فإنها لا تعدُّ وباءً لأن أسبابها متفرقة ، والأمراض الكائنة عنها مختلفة بالنوع ، وهذا النوع من المرض هو أحد نوعي الأمراض التي سماها ابقراط بالأمراض الوافدة . قال جالينوس وهي الأمراض التي تعم كثيراً من الناس في وقت واحد ، فمتى كانت مهلكة سميت موتاناً ، ومتى كانت سهلة خصت باسم المرض الوافد ، ومتى كانت خاصة ببلد دون بلد سميت بالأمراض البادية . وفي المسألة الثانية قال إن للوباء أسباباً خاصة وأسباباً عامة ،

— قد خالف الشرع وأحكامه لأنه يثبت بالرائحه

وقوله : لا تثق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير
فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فراش تطير

وقال ابن الوردي :

يقولون شم الخل في زمن الوبا وفاءاً لما قال الأطباء ياخلي
فان قلت للطاعون تسطو على الورى يقول نعم اسطو وأنفك في الخل

وقال ابراهيم المعمار

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبه
بيعت الأنفس فيه كل انسان بحبه

وسببه العام ينقسم الى قسمين قريب وبعيد ، فالقريب تغير الهواء المحيط بالإنسان الذي فيه تنفسه ، وشرح ذلك وقال ان تغير الهواء في جهة المكان والموضع ينشأ من ارتفاع أبخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والأحافير السرية الراكدة الهواء ، والنبات والبقول المتعفنة ، وأقذار الناس وفضلاتهم ، وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي أصابها الموتان ونحو ذلك .

وذكر تدرج الوباء حتى انتقل الى المرية وقال إنه حل أولاً في بيوت الضعفاء والمساكين ؛ وان عدد وفياته اذ ذاك كان دون وفيات تونس وتلمسان وبلنسية ، وأنه هلك في جزيرة ميورقة في يوم واحد ٢٥٢و١٠٠ (كذا) ، وخمن من بقي من ناسها بعد الوباء بربع الجميع ، وكذلك الأمر بسائر بلاد المسلمين والنصارى ثم قال ما لفظه : « وقد اختلف في مبدإ هذا الحادث من اين ابتدأ ظهوره ، فذكر لي الثقة عن تجار النصارى القادمين علينا بالمرية أن ابتداءه كان ببلاد الخاد وبلاد الخاد بلسان العجم هي بلاد الصين ، على ما تلقيته عن بعض الواردين من أهل سمرقند ، وكان ثقة صدوقاً . وقيل أنه ابتدأ من الحبشة وسرى الى مصر والشام . وقال ان الاخبار ترادفت بنزوله بحصن قضا من معاقل الجنويني ثم بأرض بيرة وبالقسطنطينية العظمى وجزر الرمانية (الايطالية) من سواحل البحر الرومي وبلاد جنوه وأرض افرنسة آخر ريف الأندلس ؛ فسهل بلاد أرغون وبرطونة وبلنسية وغيرها ، وعم أكثر مملكة قشتالة حتى انتهى الى اشبيلية من أقصى المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسردانية وميورقة وبلنسية وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من أرض افريقية إلى ما يلي المغرب » .

وقال في المسألة الثالثة كلاماً في اختصاص الوباء قوماً دون آخرين على قرب الجوار بانه يتفق من وجه وهو كالاستعداد ، ويختلف من وجه آخر وهو الخصوصية ، وان البلاد ليست أحوالها متفقة من كل الجهات ، فتختلف من جهة قربها وبعدها من الجزر من جهة أوضاعها ، ومن قبل اماكنها في السهولة والحزونة ، ومن قبل مآكلها ومشاربها . وشرح ذلك شرحاً مستوفى يصح أن يتخذ دستوراً في حفظ

الصحة ، ووصف المرية ومآكلها ومشاربها وفي المسألة الرابعة تكلم علي عدوى المرض الوافد فقال : الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه ان هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره ، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة ، فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابسته في الحادث الا وتتطرق اليه أذاته ، ويصيبه مثل مرضه ، عادة غالبة أجراها الله تعالى ثم قال : ولقد شهدت أهل سوق الخلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم ، مات أكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الى الآن إلا الأقل ، وغيرهم من أرباب الأسواق حالهم كحال سائر الناس . واطلعت في حال البلدان التي حرص أهلها على ان لا يدخل اليهم أحد من أهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك ، أن استصحبوا السلامة زماناً حتى غلبوا على ذلك ، وأن أكثر أهل الحصون التي تلي المرية ونزل بها هذا الحادث ليؤرخون بزمن نزوله بهم ، بقدوم فلان او فلانة عليهم من بلاء الوباء وموته بين أظهرهم ، ولهم في التحفظ من ذلك والتورط فيه حكايات تواترت بانتشارها فلا معنى لانكارها .

وانكفأ المؤلف في المسألة الخامسة يبين كيفية التحفظ والاحتراز من الوباء لحصر الأمور التي تدعو اليها حاجة الإنسان في بقاء حياته في ستة اقسام ، أولها الهواء المحيط بالإنسان وما يرجع اليه ، وثانيها الحركة والسكون ، وثالثها الأطعمة والأشربة ، ورابعها النوم واليقظة ، وخامسها الاستفراغ والاحتقان ، وسادسها الاعراض النفسانية . وفسر هذه الأنواع فقال إن إصلاح الهواء يكون باتخاذ البيوت الشمالية ، وفرشها بالرياحين الباردة ، ومسح الوجه والأطراف بذلك ، والمواظبة على شمه وشم الأترج والليم (الليمون ؟) والأزهار الباردة كالورد والبنفسج والترنجبين بالصندل مع يسير من العود الرطب ، وليحذر التعرض للشمس والسموم وموقد النيران وما يشعل حرارة الأبدان . وينبغي أن يمال الى السكون ماساعد الإمكان . وأصلح الأطعمة والشراب ما نشأ الإنسان عليه من البر والشعير اذا حسن اختيارهما ، وان كان يتناول الذرة فالأصلح الانتقال الى الشعير ، ومن الأطعمة حسو من فتيت خبز البر وطبيخ الأرز الدقيق ، وأصلح اللحوم ، إن استعملت ودعت الحاجة اليها ،

لحوم الفتيان من الدجاج والحجل ولحوم الحملان ورضيع البقر يعصر عليها خل الليم أو خل الحصرم ويستعمل بيض الدجاج النيمبرشت ، وتستعمل البقول المزوّرات وأصلح الفواكه الكمثرى والرمان الحامض والموز والإجاص على خلاء المعدة ، وأصلح المياه ما عذب طعمه وصفا ، وخف وزنه ، وانحدرت جريته من ماء العيون وما قرب من ذلك فصلاحيته بحسب قربه ، ولا بأس باستعمال ماء الشعير المحكم ، وتناول شيء من شراب السكنجبين وشراب التفاح ممزوجين بالماء كل صباح على الريق ، وكذلك شراب الرمان والسفرجل والحصرم وربوبها وشراب الليم وحماض الأترج ونحو ذلك مما يكسر سورة الدم . وأصلح النوم ما كان ليلاً على المعتاد ، ولا بأس به نهاراً في الصيف ، وليعدل به في الصيف الى الأماكن الشمالية الندية التي تخرقها الرياح ، وأن تصرف العناية الى تسهيل الطبع دائماً .

ووصف لذلك كثيراً من الأشربة المباحة ووصف القيء لمن اعتاده ورأى أن الحجامة هي النكتة في حفظ الصحة عند حلول هذا الحادث ، ورأى النفع في الفصادة ، قال وكلما توفرت الموجبات في المتطببين عنده واحتاجت حالتهم للدم اطلقه لهم ، ولما ألف الناس الانتفاع به صاروا يفتصدون من تلقاء أنفسهم .

وأصلح الاستحمام ما كان في ديماس معتدل الهواء بماء عذب فاتر بحيث يستلذ صبه على الجسد ولا تطال مدته .

وأصلح الاعراض النفسانية التعرض للمسرات والأفراح ويستدعى ذلك بما أمكن من الأمور المباحة ، ومجالسة من تبتهج النفس بحديثه ، ومطالعة الكتب . وليحذر التعرض للغم ، واتعب الناس في هذه النازلة أرباب العقول ، وأروحهم البله وأصحاب الفراغ . ويتجنب ما يعود على النفس بروع أو فزع أو انزعاج .

وختم هذا الباب بقوله أنه لاينبغي للعبد أن يفرط فيما أنعم الله به عليه من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة ، ولا ينبغي للعبد ان يخل يده من التوكل طرفة عين فلا يكون توكله على الله تعالى سبحانه الا بعد استفراغ جهده في التحفظ والاحتراز ، وهذه حقيقة العبودية .

وبسط في المسألة السادسة علاج الوباء الذي عرف إلى عصره « بحسب ما أعطاه العلم وشهدت له التجربة وصححته المعاناة والممارسة » وأتى على مشاهداته في أناس لا يأخذهم الحصر أثر فيهم اطلاق الدم قال : وأما إذا استحكم المرض فالمداواة في الغالب قليلة الجدوى . وقسم الطواعين الى ثلاثة أنواع وذكر أعراضها وتشخيصها وعلاجها .

وهنا انتهى القسم الطبي من الكتاب وبدأ القسم الديني وأورد ماورد في السنة وعن السلف الصالح في وجوب التوقي والأخذ بالحذر والحزم .

ومن هذا الكتاب نسخة كتبت سنة ٩٩٥ على يد علي بن غانم المقدمي من علماء عصره . وهي ١٥٠ صفحة واظنها دخلت في مجموعة العلامة احمد زكي باشا التي ضمت إلى دار الكتب المصرية وحبذا لو تصدى احد العارفين فطبعه مع التعليق عليه .

محمد كرد علي



رحلات

رحل الدكتور عبد الوهاب عزّام رحلات شتى إلى تركية والعراق وايران والحجاز والشام واوربة ، ودوّن في كتاب سماه : الرحلات ، ماراه وما شعر به في بلاد الإسلام متوخياً غايتين : الأولى التعريف بأحوال البلاد الإسلامية ، والثانية تدريب النشء على فن الوصف .

يغلب على الدكتور عزام في رحلاته الميل الى أمور كثيرة ، فمرّة يتراءى له في هذه الرحلات شبح التأريخ ، فتتزاحم في صوره الذكر والعظات ، فلا يطوي سينــاء إلا ذكر الطور الذي آنس موسى من جانبه نور الهدى ، ولا يمر بتلك الصحاري المديدة الا رأى الجيوش على رمالها هازمة ومنهزمة ، جيوش الفراعنة ذاهبة الى الشام وراجعة منها ، وجيوش بابل وفارس والاسكندر والرومان والعرب والترك .

ومرة تظهر على رحلاته آثار الولع بالأدب ، فلا تقع عينه على طبرية إلا ازدحمت على ذهنه قصيدة المتنبي في موجها وطيرها وجنانها :

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطمُ

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

وحيناً ينطلق قلمه بدقة الوصف ، فاذا دخل المسجد الأقصى في القدس تكلم على فنائه العظيم ، وعلى حجراته وشجراته المتفرقة ، وعلى قبته وصخرته وغير ذلك .

وحيناً تفيض النكتة في خلال كلامه ، فلا يكاد يصل الى نابلس حتى يشير الى شغف رفقائه بكنافتها المشهورة ، وحبهم لهذه الكنافة على الرغم من المطر والظلام .

وطوراً يجيش الشعر في صدره فيودّع بغداد ويناجيها :

بغداد ! تاج الحقب الخوالي ودرّة المستقبل المكنونِ .

وطوراً تجيش الصوفية في نفسه ، فتملي عليه الكلام على مولانا جلال الدين الرومي ، فيزور بقعته ، ويرى في سماء هذه البقعة آثار الشعر والحكمة والتصوف التي استفاضت في آفاق الإسلام منذ ستة قرون ، ويندفع في وصف دار المولوية في قونية ، اندفاعاً يتبين فيه مقدار ميله الى مولانا جلال الدين الرومي ، وانبساطه إلى آثاره ، وغزارة اطلاعه على هذه الآثار .

حتى إذا بلغ الحجاز ، وطلع حراء ، انبثق لذهنه من غار حراء نور محمد بن عبد الله الذي فرّ إلى هذه الغار من ضوضاء الحياة وأكاذيبها ، ومن مظالم الناس ومفاسدهم ومن باطل العقائد وزورها ؛ وجرى بيانه في هذه الذكرى مجرىً يدلنا على مبلغ الإسلام وسيدنا محمد من قلبه .

وهكذا فقد كانت رحلات الدكتور عبد الوهاب عزام مادة لطيفة في الوصف يجد فيها القارئ نتفاً من كل شيء تشحذ خياله ، وتصقل فهمه .

شفيق جبري

اللغـة

تأليف عبد القادر بشير الكرماني الحلبي

هذا كتاب يتضمن مقالات شتى في تجديد اللغة وفي اللغة الرسمية الدولية ؛ وفي اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية وأشباه هذه الموضوعات .

ليس للكتاب موضوع عام مضطَّرِد وانما هو عبارة عن خواطر في الموضوعات التي تعرض لها صاحبها لا يرتبط بعضها ببعض .

وقد تضمن قسم من الكتاب ترجمة آراء لبعض الكتاب الغربيين ، ولكن الكاتب نقل طائفة ؛ من هذه الآراء عن الذين ترجموها ولم ينسبها إليهم ، مثل الذي نقله عن « أناتول فرانس » .

وفي الكتاب فصل في فريق من بقايا الفصاح التي تستعملها العامة ، الا أن البقايا الموردة في الكتاب مشهور أكثرها فليس فيها ألفاظ طريفة .

ش . ج

سبيكة الذهب في نبذة من أحوال العرب

شرح قصيدة : (بانت سعاد) تأليف عبد القادر بشير الكرماني الحلبي

هذه رسالة تتضمن كلاماً موجزاً على شعر العرب من حيث أوليته وأغراضه ، وعلى بعض الشعراء مثل زهير و كعب والحطيئة .

ليس في الرسالة شيء جديد في الموضوع الذي عالجه صاحبه وإنما اشتمل معظمها على آراء مكررة وأقوال مرددة في هذا الباب .

أما شرح قصيدة : بانت سعاد ، فأقل ما يقال فيه ان هذا الطرز من الشرح اي تفسير ألفاظ البيت أصبح لا يناسب روح العصر الذي نعيش فيه ، فان للشرح مذهباً حديثاً ، فقد كان ينبغي للشارح أن يُظهر ما في القصيدة أو ما في البيت من عاطفة وخيال وفكر وان يتكلم على طبيعة هذه العاطفة وهذا الخيال وهذا الفكر ، وعلى هذه الصورة يستطيع القارئ ان يملأ قلبه وروحه وعقله من عواطف الشاعر ومن تصوراته ومن أفكاره ، فيتسع مدى تفكيره ، وينبسط أفق خياله ، ويمتد مجال عاطفته .

ش . ج

مجالس السلطان الغوري

هي ملخص كتابين . حققها ونشرها الدكتور عبد الوهاب عزام .

طبعت في مطبعة لجنة التأليف والنشر بمصر سنة ١٩٤١ م

صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام من أكثر فضلاء مصر انتاجاً وولوعاً بنشر العلوم الإسلامية وتحقيق ما ترك علماؤنا من آثار ومصنفات . وقد قام في خدمة نهضتنا العربية الحاضرة بعمل جليل يصح لنا أن نقول عنه انه من قبيل ما يسميه الفقهاء (فرض كفاية) وهو الذي اذا قام به البعض سقط إثم تركه عن الباقين : فان هؤلاء الباقين ان كانوا ولوا وجوههم شطر الثقافة الغربية يؤلفون فيها ويترجمون وينشرون فان دكتورنا الفاضل ولى وجهه شطر الثقافة الشرقية ولا سيما ما كان اعجمياً منها فهو يؤلف فيها ويترجم وينشر :

رأى الدكتور مقدار ما بيننا وبين الفرس والترك من الروابط الوثيقة الدينية والثقافية والتاريخية ورأى أن إعراضنا معشر العرب المسلمين عن آثار هؤلاء الأخوة وجهلنا تاريخهم الثقافي وإنتاجهم العلمي هو في الحقيقة جهل لأنفسنا وتفريط بمصدر عظيم من مصادر تاريخنا القومي والسياسي والاجتماعي . لذلك كله أخذ الدكتور بعد أن أتقن بعض تلك اللغات الإسلامية الأسيوية ينقب عما فيها من آثار وما ترك أصحابها من مصنفات ثم يحققه بحسب أصول التحقيق الحديث وينشره علينا من وقت إلى آخر :

من ذلك هذا الكتاب الذي هو أمامنا وقد جعل عنوانه (مجالس السلطان الغوري : صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري) . وهذه المجالس لخصها الدكتور من كتابين مخطوطين قد أودعا مسائل ومناظرات في مختلف العلوم الإسلامية كانت تجرى في مجلس الملك (قانصوه الغوري) آخر ملوك الشراكسة بمصر وهما:
١ً — (كتاب نفائس المجالس السلطانية في حقائق الأسرار القرآنية) تأليف حسين بن محمد الحسيني الآمدي من رجال دولة الغوري وقد لخصه الدكتور في ١٤٩ صفحة . والكتاب الآخر اسمه : ٢ً — (الكوكب الدري في مسائل الغوري) مؤلفه مجهول وهو من رجال دولة الغوري أيضاً . وقد لخص في ٩٦ صفحة .

والكتابان عربيان في لغتها . اسلاميان في موضوع ثقافتها . لكنهما أعجميان

في روحهما واسلوبهما وتنسيق مسائلهما . يدلك على هذا أن اسم الكتاب الأول — كما سماه مؤلفه — هكذا (كتاب نفائس مجالس السلطانية في حقائق أسرار القرآنية) بحذف (ال) من مجالس وأسرار .

وقد أشار الدكتور الى أن في هذه الرسائل المدوّنة شيئاً من لين وتفاهة وتكلف لا سيما في شعر السلطان نفسه . لكن يتخلل ذلك كله درر غوال لها قيمتها في نظر الباحث المسلم اليقظ : فهو يستفيد من بحوثها ويفيد . ويبدي في الاستنتاج من نصوصها ويعيد . كما أن الدكتور أشار الى أن الملك الغوري على جلالة قدره ومحاسن شيمه وغزارة مادته من ثقافة عصره كان فيه هنات لا يحسن صدورها منه : فقد كان مثلا يحتاج الى مال لترقية مصر في العمران وصيانتها من يد العدوان لكنه ما كان يُحسن جاب المال وتوفيره وصرفه في الغرض الذي أشرنا اليه : فكان يظلم ويجور ويصادر من اجل الحصول على حاجته من المال حتى صادر مرة رئيسة المغاني (المغنيات) وهي المسماة (هيفاء اللذيذة) مذ وشوا اليه (بأن لهيفاء دائرة كبيرة من المال) فقبض عليها واقامت في الترسيم (اي في سجن التوقيف) وعرضت للضرب غير مامرة على أن تؤدي خمسة آلاف دينار . فباعت حليها وما تملكه بألف دينار وأخيراً شهد القاضي بعجزها فاكتفي منها بخمسمائة دينار تؤدى تقاسيط . قال المؤرخ ابن اياس (وقد طفل السلطان نفسه الى مصادرة المغاني أيضاً والأمر لله)

وقد قدم الدكتور الناشر للكتاب مقدمةً بلغت ٥٣ صفحة ضمنها أحسن ما يقال في ترجمة السلطان الغوري والتعريف به وبأخلاقه وأحواله من خير وشر وعجر وبجر . وقال في ص ٥١ من المقدمة :

(ويرى القارئ أحيانا اهتمام السلطان بتعليم مماليكه وإحضارهم من حين إلى آخر إلى مجلسه يقرأون أمامه ويمتحنهم)

فذكرني قوله هذا بكتابٍ خزائنيٍ قليل الأوراق قديمها من خزانة كتب السلطان الغوري كان في مكتبتي اسمه (الحكايات المستطابة من ديوان الصبابة) كتبه أحد مماليك السلطان واسمه (طقطمش من أزدمر من الرفرف) يعني أنه من طبقة (أوجاق) مماليك القصر المسمين بهذا الاسم الغريب . وعلي ظهر الكتاب في

وسط دائرة مذهبة مانصه (برسم خزانة مولانا المقـام الشريف السلطان الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغوري خلد الله ملكه) فهذا المملوك رأى ان خير ما يعمل في الحصول على رضا مولاه السلطان أن ينسخ كتب الأدب بيده ويقدمها الى خزانته فعمد الى اشهر كتاب عربي في موضوع الحب وهو كتاب (ديوان الصبابة) لابن ابي حجلة فنسخ منه بضع حكايات وسماها بذلك الاسم وقدمها إلى خزانة مولاه . وهذا الكتاب (اعنى الحكايات المستطابة) معروض اليوم تحت أنظار الزائرين في قاعة المعرض من دار الكتب المصرية .

نرجع إلى كتاب (مجالس السلطان) فننقل منه نموذجاً يوضح نهج المسائل العلمية المختلفة التي كانت تدور بين السلطان وجلسائه :

سؤال — سأل شـاهي بك خان علماء سمرقند وخراسان : هل يرث ابن الابن مع وجود الابن من ميراث أبيه شيئاً ؟

الجواب — قالوا : لا يرث .

سؤال — قال الملك : والقياس ان يرث حصة ابيه لأن ابن الابن يرث مع وجود البنت حصة ابيه . فما الفرق بين هاتين الصورتين ؟

الجواب — قيل ان ابن شريح عمل بهذا . ويجوز للملك أن يقوي قولاً ضعيفاً

قال شاهي بك : انا اقوّي قول ابن شريح . فأمر الملك ان يكتبوا مراسيم ويبعثوها الى عمال جميع مملكته : ان لا تمنعوا ابن الابن مع وجود الابن من ميراث ابيه . فاذا قتل الملك قبل نفوذ المراسيم في البلدان .

جواب — قال حضرة مولانا السلطان : اما سمع شاهي بك حديث البخاري ومضمونه انه لا يرث ابن الابن مع وجود الابن . فهذه المسألة أخذت من السنة لا بالقياس . فكيف غفل شاهي بك عن هذا ا هـ

هذا ما رأينا أن نقوله في التعريف بكتاب (مجالس السلطان الغوري) وقد دللنا به على اهتمام الدكتور عزام بنشر ما انطوى من آثار السلف وخاصةً الأعجمية الإسلامية من تلك الآثار وانا لنشكر له خدمته الشريفة هذه ونستزيده منها .

المغربي

حمامات دمشق

بقلم ميشيل إكوشار وكلود لوكور . القسم الأول بالمطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٤٢
٥٨ ص مع رسوم وخريطة بحجم ٢٥ × ٣٥ سنتيما .

Les Bains de Damas, Institut français de Damas

قال المستشرق الكبير الأستاذ وبليام مارسيه في كلمة له القاها في مجمع الآداب الفرنسية بباريس (1) « ... نجد الكتب العربية كثيراً ما تذكر الحمام كما تكثر من ذكر الجامع والسوق .. وإن من اللازم ان نعرف تطور هذه المواضع في نشوئها . وانا اتمنى ان أرى بين زملائي الشبان من يقدم لنا في أقرب وقت بحوثاً عن هذه الأمكنة وعن المدينة الإسلامية لما في ذلك من فوائد »

بهذه الكلمة صدر المسيو ميشل إكوشار M. ÉCOCHARD كتابه القيم عن حمامات دمشق . وهذا الكتاب له خطر كبير لا لأنه يحدثنا عن حمامات هذه المدينة ويعطينا مصوراتها ومخططاتها بصور جد دقيقة ، وفنية بارعة ، ولا لأنه يحفظ لنا أوصاف هذه الحمامات الستين الباقية والتي ستنقرض بعد زمن غير بعيد ، ولا لأنه يجمع في كتابه شيئاً كثيراً من النقوش والزخارف البديعة التي تمتلئ بها هذه الحمامات ... لا لهذا كله بل لأنه أول كتاب علمي درست فيه الحمام العربية دراسة قيمة ، والكتاب وإن كان خاصاً بدمشق فإن من يقرأه يجد فيه معلومات عامة عن الحمام منذ نشأتها وما طرأ عليها من تغيير . ودراسة حمامات دمشق من أهم العناصر لدراسات حمامات سائر مدن العالم الإسلامي لأن دمشق من أكثر المدن حمامات لكثرة مياهها وبراعة أهلها بتوزيع المياه براعة عجيبة .

ظهر من الكتاب قسمه الأول وهو مؤلف من ستة أبواب وخاتمة وذيل فالفصل الأول : بحث فيه عن مصادر مياه الحمام وكيفية توزيعها . وقد زين هذا الفصل بصور ومخططات مفيدة تعين القارئ على فهم ما يقرأ كما تبين له براعة الدمشقيين في توزيع مياه انهر مدينتهم . والفصل الثاني درس فيه الحمام وآلاتها وملحقاتها وفي

(1) Cf . Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres . 1928. P.89-100.

هذا الفصل رسوم جميلة تعين على فهمه · والفصل الثالث في كيفية توزيع المياه في الحمام وفي كيفية توزيع التدفئة والبخار · وهو من أمتع فصول الكتاب وأدلها على براعة الفن المعماري العربي · والفصل الرابع بحث فيه عن كيفية بناء الحمام وزخرفتها ونقشها وهذا الفصل من المراجع المهمة لدراسة الفن المعماري الإسلامي أيضاً· وقد أجاد فيه المؤلف اجادة تقدر له ، والفصل الخامس سرد فيه عمل الحمام ورجالها وعمالها · والفصل السادس خصصه للزُبن ولأجرة الحمام · والخاتمة تكلم فيها عن مستقبل الحمام العربية وماضيها · والملحق سرد فيه اسماء حمامات دمشق الستين ومواضعها ومناطقها ونوع ملكيتها · ثم ختم الكتاب بخريطة لدمشق صور عليها مواقع هذه الحمامات ·

وصفوة القول ان المؤلف الفاضل قد عالج فصول كتابه هذا معالجة تدل على تعمق وصبر جديرين بالشكر والثناء وخصوصاً ما يتعلق منها بتوزيع المياه والناحية البنائية والهندسية ولا عجب فالمؤلف اختصاصي بهذا من الناحيتين العملية والنظرية · على أن الكتاب لم يخل من بعض هفوات من ذلك قوله ص ٤٢ : ان المغتسل بعد أن ينظف جسمه بالصابون والليفة يجيء (المكيِّس) فيعمل كيسه في جسمه ... والصواب انهم يبدؤن بالكيس فاذا تم التكييس بدأوا بالليفة والصابون ·

ويقول في هامش ص ٤٢ ان النورة كلمة فارسية والصحيح انها عربية قال صاحب لسان العرب (٧ / ١٠٣) والنورة : من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به شعر العانة · وقال الخفاجي في شفاء الغليل (ص ٢٢٦) النورة قيل ليست عربية وسميت بها لأن أول من صنعها امرأة اسمها نورة والصحيح انها عربية وردت في كلامهم وصرفوها · وفي شرح الحماسة (١٧٢/٤) قال اعرابي لابنيه وكانا دخلا الحمام فاحرقتها النورة :

نهيتهما من نورة احرقتها   وحمام سوء ماؤه يتسعرُ
اجدكما لم تعلما ان جارنا   اباالحسل بالصحراء لايتنور

قال أبو العلاء النورة قد تكلموا بها قديماً ولها اشتقاق لأنها اذا أزالت الشعر انار موضعه لذهابه عنه · وزعم قوم ان النورة امرأة كانت تصنع هذا الشيء فسمي بها ·

ويترجم في صفحة ٤٧ كلمة Loyer estimatif بقوله «ajer el-misk» والصواب ajer al-mithl . (اجر المثل) .

ويقول في ص ٤٦ ان من عادة النساء بدمشق — اقول وغير دمشق أيضاً — ان يطلين جسم المرأة بعد أن تضع بأربعين يوماً ، بمزيج من الدبس والزنجبيل [وقد كتب كلمة الزنجبيل — Zanzubil — وهو خطأ] والصواب انهن يضفن على ذلك شيئاً من الخردل .

ويقول في هامش ص ٥١ ان من موارد الوفاد في القمين ان يسلمه احد سماني محلته كيساً من الفول اليابس (فيشويه) له (griller) والصواب ان الذي يسلمه هذا هو الفوال وأن الوقاد لا (يشويه) بل يسلقه (blanchir) والفرق واضح بين التركيبين .

وبعد فهذه هفوات بسيطة وجدتها في الكتاب وهي ليست بشيء إذا قيست إلى العمل المفيد الذي قام به المؤلف فنرجو لكتابه ما يستحق من الرواج كما نرجو ان نقرأ في القريب القسم الثاني منه . **الدكتور اسعد طلس**

المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بدمشق .

اهدت الينا إدارة المدرسة كراساً بحثت فيه عن تاريخ تأسيس المدرسة ، وعن رؤسائها وعن اشهر خريجيها ممن أصبحوا بعدئذ علماء وادباء وكتاباً وقضاة وأطباء وصيادلة وموظفين ووجهاء وتجاراً . ويلي ذلك بحث عن المدرسة في عهدنا الحاضر وعن اعدادها التلاميذ للبكالوريا ؛ وكلمات عن بعض الذين درسوا فيها من رجالات الشام ، ثم بعض مقالات ادبية طلية .

والذين يعرفون مثلي ان اللغة الضادية كانت تدرس بالتركية في مدارس الدولة العثمانية في أواخر القرن الماضي ، وأوائل القرن الحاضر ، يدركون على الفور انّ هذه المدرسة وأشباهها من المدارس الأهلية الراقية لهنّ ايادٍ بيض ناصعات على لساننا المبين في ديار الشام .

فنحن نشكر لإدارة المدرسة هديتها ونتمنى للمدرسة اطراد التقدم في خدمة شباب الشام والثقافة العربية . م . س

آراء وأنباء

مخطوطات كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر

ورد في الصفحتين ١٢٨ و ١٢٩ من المجلد ١٦ من مجلة المجمع الغراء ، نبذة ثمينة كتبها المؤرخ الفاضل الشيخ محمد راغب الطباخ ، عرّف فيها القرّاء ، كتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » لعلامة عصره ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة .

وقد أشار في تينك الصفحتين إلى ما وقف عليه من النسخ الخطية لهذا الكتاب النفيس ، وهي هذه الأربع :

١ — نسخة المدرسة العثمانية بحلب (في مجلدين) .

٢ — نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق . وهذه هي مسودة المؤلف . قلنا : وهي التي ذكرها العلاّمة الأستاذ محمد كرد علي في مصادرخطط الشام (١ : ١١ ، الرقم ١٦) .

٣ — نسخة خزانة كوپريلي باستانبول (في مجلدين ، رقمها ١٠٠٥ — ١٠٠٦) .

٤ — نسخة ثانية في خزانة كوپريلي (في مجلدين أيضاً ، برقم ١٠٠٧ — ١٠٠٨) .

ثم تمنى حضرته ، لو أن هذا الكتاب الخطير يظهر مطبوعاً . وختم كلمته راجياً من القرّاء ان يكتبوا الى هذه المجلة بما وقفوا عليه من نُسخ هذا الكتاب التي تفرقت في خزائن الكتب شرقاً وغرباً .

ولما رجعتُ الى فهارس المخطوطات التي بين يديّ ، وقفتُ على نسخٍ مختلفة من هذا الكتاب ، غير التي أشار اليها . وهاأناذا ذاكرها فيما يلي باختصار :

١ — نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد : (رقمها ٣٧٤٤) . وهي المجلد الأول فقط . كانت سابقاً في خزانة السيد نعمان خير الدين الآلوسي . النسخة غير مؤرخة إلا أنها قديمة وصحيحة . تنتهي حوادثها بسنة ٨١١ هـ . وقد قرأت في آخرها هذه العبارة : « أنهاه مطالعة مالكه اسمعيل النابلسي في صفر سنة ٩٨٤ هـ » .

٢ — نسخة خزانة آل باش أعيان العباسي في البصرة : تقوم في مجلد واحد

ذي ٣٠٦ صفحات . وهي مخرومة الأول ، وتاريخها ٨٩٥ هـ . والذي يؤخذ من بعض ما جاء فيها انها بخط أحد تلامذة المؤلف .

٣ — نسخة خزانة الازهر بالقاهرة : في مجلدين ، بخط علي بن داود الخطيب سنة ٨٧٩ هـ .

٤ — نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة : (رقمها ٢٤٧٦) في مجلدين ، نقلا سنة ١٣٢٩ هـ عن نسخة الأزهر المذكورة آنفاً[1] .

٥ — نسخة خزانة أياصوفية باستانبول : مجلد واحد رقمه ٢٩٧٤ .

٦ — نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول . مجلد واحد رقمه ٣٠٥٦ .

٧ — نسخة خزانة ولي الدين باستانبول مجلدان رقمها ٢٣٤٠ — ٢٣٤١ وصحائفها ٥٣٦ و ٤٨٠

٨ — نسخة خزانة يكي [يني] جامع باستانبول : مجلد واحد رقمه ٨١٤

٩ — نسخة في الجزائر : مجلدان (انظر قائمة فنيان[2] ، ص ٤٤٣ ، الرقم ١٥٩٧ — ١٥٩٨) . في الاول ٢٢١ ورقة وهو ينتهي بحوادث سنة ٨١١ هـ . وفي الثاني أخبار السنين ٨١٢ — ٨٥٠ هـ .

١٠ — نسخة ثانية في الجزائر : مجلدان ايضاً (فنيان ، ص ٤٤٣ ، الرقم ١٥٩٩ — ١٦٠٠) الأول ينتهي بحوادث سنة ٨١٠ هـ ، والثاني من ٨١١ إلى ٨٥٠ هـ .

١١ — نسخة خزانة برلين : (أنظر قائمة اهلوردت[3] برقم ٩٤٦٠) وهي المجلد الثاني فقط ، كتبه جمال الدين يوسف ، سنة ٨٦٠ هـ . ويتقوم من ٢٣٣ ورقة .

١٢ — نسخة ثانية في خزانة برلين : (أهلوردت ، الرقم ٩٤٦١) . وهي جزء واحد قوامه ٢٣٦ ورقة ، كتب سنة ١٠٠٠ للهجرة .

١٣ — نسخة خزانة الفاتيكان : (انظر قائمة دلا ڤيدا[4] ، الرقم ٧٣١) . وهي المجلد الثاني فقط ، أوراقه ٢٢٦ ، وتاريخه ١٦ شوال سنة ٨٧٦ هـ .

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ٤٠) .

(٢) Fagnan: Catalogue général des manuscrits d'Alger. [Paris, 1893].

(٣) Ahlwardt ; Verzeichniss der arabischen Handschriften zu Berlin [Band IX, Berlin, 1897, pp. 66—67].

(٤) Della vida : Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana. [Citta del vaticano, 1935, p. 70].

١٤ — نسخة خزانة باريس الوطنية (قائمة دي سلان [1] ص ٣٠١ — ٣٠٢ . الرقم ١٦٠١ — ١٦٠٢) . وهي مجلدان . أوراقها ٢٤٦ و ٢٧٩ كتبا في المائة الخامسة عشرة للميلاد

١٥ — نسخة ثانية في خزانة باريس: دي سلان، الرقم ١٦٠٣ . وهي المجلد الاول فقط . كتب في المائة الخامسة عشرة للميلاد، لخزانة امير كبير في القاهرة . المجلد يقوم في ٢٤٥ ورقة .

١٦ — نسخة ثالثة في خزانة باريس : (دي سلان) ، الرقم ١٦٠٤) . وهي المجلد الثاني . وعلى ما يظهر ، ان هذه النسخة كانت ثلاثة اجزاء . والجزء الحالي يبدأ بسنة ٨٠١ وينتهي بسنة ٨٢٣ هـ . تاريخ كتابته ٨٨٠ هـ وأوراقه ٢٤٦ .

هذا ، وانه لم يتحقق لدينا ، الى اية نسخة من هذه الثلاث استند العلامة محمد كردعلي في مصادر خطط الشام (١ : ١٨ ، الرقم ١٢٦) حيث قال في وصف تلك النسخة انها كتبت سنة ٨٠٢ هـ واشار الى « سلامتها من سقم الخط وخلوها من الغلط » .

١٧ — كما ان في خزانة باريس ايضاً : (دي سلان ، الرقم ١٦٠٥) « مختصر كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر » . وهو لمحمد بن [عبد] القادر الدميري . من مخطوطات المائة الخامسة عشرة للميلاد .

١٨ — نسخة خزانة غوطا: (قائمة پرتش [2] ، الرقم ١٦٢٢ — ١٦٢٣) وهي في مجلدين .

١٩ — نسخة خزانة المتحف البريطاني بلندن : (قائمة ريو [3] ، الرقم ٣١٦) . مجلد واحد ، اوراقه ٣٧٠ .

٢٠ — نسخة ثانية في المتحف البريطاني :(ريو ، الرقم ١٢٤١) وهي الجزء الثاني الذي يتناول اخبار ٨١٢ — ٨٥٠ هـ . وهناك قوله: « آخر ماوجد بخط مصنفه في المسودة ولله الحمد » .

فهذه ، وما ذكره المحقق محمد راغب الطباخ ، اربع وعشرون نسخة ، بين كاملة

---

(١) De Slane: Catalogue des manuscrits arabes de la bibliothèque Nationale de Paris. [vol.I., Paris, 1883].

(٢) Pertsch : die orientalischen Handschriften der herzoglichen Bibliothek zu Gotha.[1893].

(٣) Rieu: catalogus codicum manuscriptorum orientalium qui in museo britannico asservantur. [Pars II., Codices arabicos amplectens, Londini, 1846, p. 155].

وناقصة ، قد تفرقت بمرور الزمن بين سبع عشرة من خزائن الكتب العربية ، المنبثة في بلدان الشرق والغرب ، ولعل هنالك نسخاً أخرى لم نستطع حصرها في هذا الكشف ، نظراً الى تشتتها في بعض الخزائن الخاصة أو العامة ، مما لم نتوصل إلى فهارسها ، او مما لم يعن أربابها بنشر فهارس لها تقف الباحثين على ما تحويه .

ومهما يكن من أمر ، فان هذه النسخ العديدة ، ثروة خطية عظيمة الشأن . ونحن نكاد نجزم بأنه لو أتيح الرجوع اليها جميعاً ، وقوبل ما بين رواياتها بدقة وإمعان ، واعتمد على الوجوه الصحيحة من بينها ؛ لحصل من ذلك العمل الحري بالاعتبار والشكر ، نسخة مضبوطة يركن الى صحتها كل الركون ، ويحسن وضعها بأيدي القراء نظراً الى سلامتها من كل شائبة او تحريف .

فهلا من يقوم بإخراج هذا الكتاب من مكامنه ومدافنه ، وإذاعته للملأ ، وتيسير الاستفادة منه على الدوام ؟

(بغداد) **كوركيس عواد**

حول كتاب الإمتاع والمؤانسة

جاء فيما كتبه رئيس مجمعنا العلمي عن هذا الكتاب (في الجزء الثامن من المجلد السادس عشر ص ٣٦٧) قوله وأخرجه الناشران الفاضلان احمد امين بك واحمد الزين من نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة والناسخ العجمي جميل الخط لا يعرف ما كان ينسخ .

فعجبت لذلك لعلمي بوجود ثلاث نسخ منه ثنتان في مصر في الخزانة الزكية كان العلامة البحاثة احمد زكي باشا رحمه الله نقلها بالمصور الشمسي وكان قد عزم على طبعه ولما لم يكتف بهاتين النسختين واستشكل بما كتب على احداهما ارسل لي كتابا ذكر فيه عن اي مكتبة نقل هاتين النسختين ويسألني ان كان في مكاتب حلب نسخة او بعض نسخة وهل عندي ما يزيل اشكاله فأجبته بالسلب في الأمرين .

والثالثة عند الشيخ حمدي السفرجلاني الدمشقي نسخت له او استنسخ صورة عن كتاب العلامة احمد زكي لمكانته وبيان ما قام به من جهود في الاستحصال على النسختين

المتقدمتين وبحث وتدقيق فيها كما هو شأنه . ولا أدري على اي نسخة من هذه النسخ الثلاث طبع هذا الكتاب ولعله على هذه الأخيرة اذ لم يقل الاستاذ الرئيس انها مأخوذة بالمصور الشمسي . واستنسبت ان اكتب كتاب العلامة زكي باشا بنصه ليعلم ما كان له فيه من جهود في الاستحصال على نسختين وما كان له من بحث وتحقيق وارى ان ينشر هذا الكتاب او ان يشار اليه على الأقل في الجزء الأخير قال «دار العروبة في ١٢ محرم سنة ١٣٤٩ و ٩ يونيو سنة ١٩٣٠!

تحية مباركة وسلاماً طيباً وبعد فانني احيط علم الاستاذ بانني كنت نقلت بالفتوغرافية من القسطنطينية كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان وهي كاملة تقع في ٨٥٤ صفحة وطالما بحثت عن نسخة اخرى حتى علمت بوجود جزء في بغداد ولكن الاستعلام افاد ان صاحبه مات وان الكتاب (الجزء الأول) اندثر ثم علمت بوجود نسخة في مكتبة ميلانو بايطاليا واستحضرت صورتها الفتوغرافية وهي في ٢٣٧ ورقة ولكنها مدشوشة دشتاً كله خلط من أولها لآخرها والذي زاد في خلطها ان بعض الأوراق قد انفصل نصفها الأول عن الثاني الى آخر ما هنالك

والمطلوب الآن :

١ — هل عندكم في حلب نسخة او بعض نسخة ام هل وصل الى علمك شيء عند شخص آخر

٢ — الجزء الثاني من نسختي مكتوب على طرته انه برسم خزانة السلطان الاعظم مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم مستخدم ارباب السيف والقلم باسط الأمن والأمان ناشر العدل والاحسان ابي المفاخر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي ابن محمد الأيوبي خلد الله تعالى مملكته وسلطانه واعلى في الخافقين عزه وبرهانه

ثم كتب نفس الناسخ للكتاب من اوله الى آخره في الختام ما هذا نصه بالحرف الواحد تمت الجزء الثاني من الكتاب المؤانسة والامتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانماية . ثم كتب هو أيضاً وبخطه أيضاً على هامش الصفحة الأخيرة ما نصه . من عواري الزمان دخل في نوبة العبد الفقير حسن المكني بابي الفضل المنشئ الشيرازي .

وهنا محل للعجب والاستغراب

أولاً— انه في سنة ٨١٥ لم يكن في الوجود اثر لسلطنة رجل من بني ايوب

ثانياً— يصح لنا ان نتصور ان الكاتب اراد ان يكتب ستمائة فخانه قلمه وكتب ثمانمائة . وقد راجعت التاريخ فوجدت موسوعات الإسلام تقول ان غازي الأيوبي سلطان حلب توفي سنة ٦١٥ ولكنك انت تقول في تاريخك الممتع ان ذلك كان سنة ٦١٣[1] (فربما ان المستشرق الافرنجي كتب 3 فجمعها صفاف الحروف 5)

فيكون سليمان هذا تولى الملك سنة وفاة ابيه غازي سنة ٦١٥ او كان على العرش بعد تلك الوفاة بعامين سنة ٦١٣ . وقد رأيت صاحب كشف الظنون ذكره هو وابنه وابن ابنه عند كلامه على « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وهو مجموعة اشعاره واشعار ابنه (السلطان احمد) وابن ابنه (السلطان خليل) وحينئذ يصح لنا ان نقول بأنه عند جلوسه على العرش اراد عملاً بسنة آبائه واجداده ان يزيد خزانة كتبه استنساخ هذا الكتاب او ان الناسخ (وهو شرف بن اميرة) اراد ان يتقرب اليه بهذه النسخة المكتوبة بخط جميل جداً والمزوقة في اولها باطار بديع من الذهب واللازورد (باسم الخزانة) ولا غرابة فالرجل شاعر وسليل بيت الملوك الصيد الذين كانت لهم اليد الكبرى في مناصرة العلم والفن والأدب والى هنا يصح لنا أن نحكم بأن الكاتب اراد ان يكتب سنة خمس عشرة وستماية فكتب (وثمانماية) وكتب اسم المالك القديم وهو ابو الفضل الشيرازي نقلا لما وجده في النسخة المنقول عنها نقل مسطرة . وكان حقه ان يقول هذه النسخة منقولة عن نسخة كانت في ملك الشيرازي او شيئاً آخر من هذا القبيل . وهنالك وجه آخر للتخريج ، ان هذا السلطان يكون جلس ومات او انقلب عن العرش في ذلك الزمان المشحون بالقلاقل والاضطرابات ولذلك لم أر له ذكراً في تاريخك اولم يساعدني وقتي على زيادة البحث والتحري . ويكون الناسخ قد باع نسخته للشيرازي وكتب بخطه ايضاً عبارة الملك طبقاً للنص الذي اعطي له ليحصل تناسق في الكتابة من الأول الى الآخر .

والذي ارجوك الجواب عليه هو ان تبحث وتفيدني عن هذا السلطان مع الاشارة

(١) الصواب ما ذكرناه في تاريخنا كما في أبي الفداء وغيره .

الى المراجع والمصادر فان النسخة تقول ان اباه غازي هو ابن محمد [؟] وهل هنالك ذكر لولديه . ولابن الفضل الشيرازي (حسن) المنشئ ولذلك الناسخ شرف بن امين .

كل ذلك لاتمام المباحث التي اباشرها لعلي اتمكن من طبع هذا الكتاب النادر النفيس وسلامي عليك ولكل الاخوان فرداً فرداً والسلام» «احمد زكي»

ثم اني عثرت منذ عهد قريب على ما يزيل عجب العلامة المرحوم واستغرابه وذلك فيما كتبه صديقنا الأستاذ الشيخ محمد احمد دهمان في الجزء السابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع (ص ٣١٢) تحت عنوان حاقة مفقودة من سلسلة التاريخ وذكر فيها ما أهمله التاريخ بصورة متسلسلة من ملوك بني أيوب في حصن كيفا .

قال : الملك العادل فخر الدين سليمان وهو السادس من ملوك الحصن وهو ابن المجاهد غازي بن الملك الكامل محمد بن الملك ابي بكر بن شادي . ثم قال في التعليقات نقلا عن الشذرات والضوء : هو الملك العادل فخر الدين سليمان بن الملك الكامل غازي صاحب هذه الترجمة توفي سنه [٨٢٧] وجاء في ترجمته انه بقي ملكاً نحو خمسين سنة .

فغازي والد سليمان هو من ملوك الحصن كما ذكره الأستاذ دهمان وهو غير غازي ملك حلب الذي توفي سنة ٦١٣ وظنهما العلامة المرحوم واحداً حتى استشكل بما كتب على النسخة وهو سنة ٨١٥ فما كتب عليها هو صحيح والمراد بغازي ملك حصن كيفا المتوفى سنه ٨٢٧ لا غازي ملك حلب المتوفى سنة ٦١٣ ولا اشكال .

ومما يجدر ذكره هنا ان من جملة من اقتنى نسخة من كتاب الإمتاع والمؤانسة الشيخ محي الدين بن العربي وقد ذكره في خطبة كتابه محاضرات الأبرار وانه من جملة مصادره في هذا الكتاب وعبارته .

« وكل ما سطرته في كتابي هذا فمنه ما شاهدته او حدثني من شاهده ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سماعاً او قراءة او مداولة او كتابة مثل كتاب الإمتاع والمؤانسة للفاضل الاديب النحرير ابي حيان التوحيدي رحمه الله تعالى» . وقال في ص ٢٥٦ من الطبعة المطبوعة سنة ١٣٢٥ في مطبعة السعادة بمصر . « ذكر ابو حيان التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة ان الفرس» الخ .

حلب محمد راغب الطباخ

بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً

قرأت ما كتبه [١] الأستاذ الطباخ تحت عنوان (افتراء ابن بطوطة على ابن تيمية) فرأيت ان اضيف اليه ما عندي في هذا الموضوع ، لينفي مثبتو الحقائق هذا البطلان الذي بعد عهده ، وضل مناصروه :

لم يكن ابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع كما زعم ابن بطوطة ، (١ : ٥٧ فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ على منبر الجامع) بل لم يكن يخطب او يعظ على منبر الجمعة كما يوهمه قوله : « ونزل درجة من درج المنبر » وانما كان يجلس على كرسي يعظ الناس ، ويكون المجلس غاصاً بأهله ، قال الحافظ الذهبي : « وقد اشتهر امره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه » الخ وقال الشيخ علم الدين البرزالي في معجم شيوخه : « وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم » الخ .

وانما كان يخطب الناس على منبر الجامع الأموي في عهد دخول الرحالة ابن بطوطة دمشق - قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، وقد كان خطيب المسجد وامام الشافعية فيه ، وكان سكناه بدار الخطابة (ج ١ : ص ٥٦ رحلة ابن بطوطة)

ومما تقدم يعلم ان ابن تيمية كان مدرساً واعظاً ، لا خطيباً ، وكان يلقي درسه في التفسير صبيحة كل جمعة وهو جالس على كرسي في الجامع الأموي ، لا واقف على منبر فينزل درجة عنه ، وقد اشار الى ذلك الحافظ المؤرخ ابن عبد الهادي بقوله : « ثم ان الشيخ جلس يوم الجمعة (اي بدمشق) على عادته ، وقال وهو يصف حاله وأعماله بمصر : « ويتكلم في الجوامع على المنابر من بعد صلاة الجمعة الى العصر » فهو لم يقل على منابر الجمعة ، ولا على منابر الخطابة ، والظاهر ان المراد بالمنبر كل ما ارتفع عن الأرض كما يؤخذ من مفهومه اللغوي ، فهو يعم هذه الكراسي التي يجلس عليها المدرسون في المساجد الكبرى بمصر والشام والعراق ليسمع منها الجماهير ، فكيف غفل ابن بطوطة عن ذلك ؟ وقال الحافظ ابن حجر : « وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه (ص ١٥٣

(١) مجلة المجمع العلمي (ص ١٣٢ م ١٧)

ج ١ من الدرر الكامنة) وهذا مما يؤكد أنه كان يلقي درسه على كرسي يجلس عليه والمستمعون حوله ، فكلامه على طريقه المفسرين — من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، وايراده من الآيات والأحاديث ونصوص اللغة وأقوال العلماء في مجلس واحد ، ما لا يورده غيره في مجالس كثيرة كما تقدم — هو طريقة المدرسين المحققين في حلقات المجالس الكبرى ، لا خطباء المنابر وهم وقوف ، لاسيما وقد صرحوا بجلوسه في دروسه ، وهذا لا يتيسر على منابر الخطب الجمعية .

وبعد فهذه كتبه المخطوطة والمطبوعة ، ورسائله وفتاويه وردوده في العقائد قد بسط الكلام فيها على آيات الصفات والأفعال وأحاديثها كالوجه واليدين والاستواء والنزول وغيرها ، بالمعقول والمنقول ، وكلها يتضمن إثبات الأسماء والصفات ؛ مع نفي مماثلة المخلوقات ، اثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما جاء في القرآن الكريم « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » فقوله « ليس كمثله شيء » رد للتشبيه والتمثيل وقوله : « وهو السميع البصير » دفع للإلحاد والتعطيل .

ألا وان العلوم الحديثة قد قربت فهم النصوص على طريقة السلف وبينت أنها الأعلم والأحكم ، دع كونها الأهدى والأسلم ، فمن ذلك حديث النزول الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا » الخ فان الآلة التي تريك المتكلم الآن حاضراً عندك وهو لم يبرح مكانه (Télévision) تهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال ، وان هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل كما قال القاضي ابو يعلى ، ومثله اسناد صفة الكلام اليه تعالى في قوله : « وكلم الله موسى تكليما » وقول رسوله : اذا تكلم الله بالوحي ، فهو لا يحتاج الى تأويل فراراً من شبهة التشبيه ، فقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولا لسان كالحاكي مثلا ، أفتأبى قدرة الله وحكمته الا أن يتكلم بفم ولسان كالإنسان ؟ اليس هو القادر على أن يختم على فم الإنسان وينطق جسمه الصامت كما قال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم » الآية ، أفيعقل أن يكون هذا القادر الحكيم عاجزاً عن التكلم إلا بمثل فم المخلوق ؟

وختام القول ان هذه الرواية مختلقة على ابن تيمية شيخ الإسلام سواء صحت عن ابن بطوطة أم لم تصح ، فهو لم يره ولم يسمع منه كما قال الأستاذ الطباخ ، وكما

نشرنا من قبل مقالاً ضافياً في موضوعه ، (في الجزء العاشر من مجلة دمشق الصادر في تشرين الأول سنة ١٩٤٠ الموافق لشعبان سنة ١٣٥٩) ومؤلفاته جميعها ترد عنه هذه الكلمة الشاذة ، بل لو ثبتت الرؤية والسماع لقلنا ان ابن بطوطة شبه له ابن تيمية ، وحكايات الشبه والاشتباه في الأشخاص والأشياء لا تكاد تحصر ، وهي داخلة في باب الشخصية (Identification) من كتب الطب الشرعي وغيره .

على ان ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وإنما أملاها على الكاتب الأديب ابن جزى الكلبي ، وقال هذا في المقدمة : ونقلت معاني كلام الشيخ ابي عبد الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها ، فيجوز ان يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ، والله عليم بذات الصدور .

محمد بهجة البيطار

ملاحظات لغوية

— أ —

للأب العلامة المحقق الكرملي همة بعيدة ودؤوب عجيب في خدمة لغتنا الكريمة ، وقد بدت لي في مقاله الأخير (الأوهام العائرة) ملاحظات أنا عارضها عليه :

١ — ذكر في ختام مقاله[1] قوله : « وأما اذا ثنيت المضاف فهذا معناه أن للمضاف المثنى مضافين اليه لا مضافاً واحداً . فقولك كتابا الملك والأمير معناه أن للملك كتابين وللأمير كتابين ، وانت لا تريد هذا . » اه والمعروف ان الامر أوسع من ذلك ، فلك أن تقول كتابا الملك والأمير أو (كتاب الملك والأمير) فاذا خفت اللبس غيرت في بناء الجملة حتى ينكشف . والله تعالى يقول : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » وهو لا يعني أن لكل منهما عدة قلوب . بل قلب واحد كما هو ظاهر . والعرب تتوسع في هذا الباب وتعتمد فيه على القرائن .

وفي كتاب (الصاحبي) للإمام الكبير أحمد بن فارس أبواب عقدها : للواحد يراد به الجمع ، والجمع يراد به واحد او اثنان ، والجمع الذي يراد به الاثنان الخ (ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ طبعة السلفية ١٣٢٨) فالأمر كما ترى أوسع من ان نضيقه .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد السابع عشر ص ١١٢ س ١

٢ — في اول المقال (ص١٠٦ س ٥) قوله « في نفس هذا البحث » وتقديم الفاظ التوكيد المعنوي (نفس ، عين ، جميع الخ) على المؤكد من اساليب الفرنجة ، والعرب تقول: « في هذا البحث نفسه» فهل للأب المحترم ان يدلنا على حجة ان لم يكن الامر سهواً .

٣ — ذكر في (ص ١٠٩ س ١١) أن : « الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليه شرفًا وقدراً ، فقولهم كتاب الملك مثلاً ، يدل على أن الكتاب دون الملك قدراً وشرفًا . » وهذا غير مطرد ، ألا ترانا نقول : إله الناس ، نبي الامة ، وأستاذ فلان ، وشيخه ، واميره الخ والمضاف في كل ذلك أشرف من المضاف اليه وأجل قدراً . فليس هناك قاعدة وإنما الامر يختلف باختلاف المقامات .

— ب —

في ص ٨٣ س ١٥ ما يوهم ان « مهما » لا تدخل على الماضي . ولست أعرف حالاً تفرد « مهما » عن أخواتها الجوازم ، فكلها تدخل على ماضيين ومضارعين ومختلفين[1] فليس هناك ما يؤاخذ به من يقول : مهما كان ، ومهما استحدث . هذا مع اعجابي بأدب الاستاذ الفاضل المنتقد وصحة بصره . وبيت الالفية المشهور في فعلي الشرط صريح وهو :

وماضيين او مضارعين   تلفيهما او متخالفين

سعيد الافغاني

(تصحيح خطأ مطبعي في اللسان والمختار)

الأسمران الماء والرمح

جاء في لسان العرب[2] (ابوعبيدة : الأسمران الماء والحنطة ، وقيل الماء والريح) وفي بعض طبعات مختار الصحاح[3] : (الأسمران الماء والبر ، وقيل الماء والريح) وذكرت كلمة (الريح) فيهما بالياء المثناة التحتية ، وصوابها : (الماء والرمح) بالميم بدلا عن الياء ، ذلك ان العرب تصف الرمح بالسمرة كما تصف الحنطة ، وتضيف الى كل منهما الماء . وتطلق لفظ (الأسمرين) عليهما تغليبا . ولا يوجد فيما رأيناه من كتب اللغة وصف

(١) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ : ١٢٣ طبعة صبيح ١٩٢٧

(٢) في الطبعة الوحيدة المطبوعة ببولاق ، وفي نسخة خطية غير تامة في المكتبة الظاهرية بدمشق (رقم ١٤ لغة)   (٣) في الطبعة التي رتبها محمود خاطر بك على اوائل الكلمات المطبوعة غير مرة بالمطبعة الأميرية ومطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٧ ، ومطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥

الريح بالسمرة ، او تسمية الماء والريح بالأسمرين ، ولم يشر الى هذه الغلطة المرحوم احمد تيمور باشا في جزءي كتابه تصحيح لسان العرب واليك النصوص :

١ — في القاموس المحيط : (الاسمران : الماء والبر ، أو الماء والرمح)

٢ — في شرحه (تاج العروس) : (الاسمران الماء والبر قاله ابو عبيدة او الماء والرمح ، وكلاهما على التغليب) .

٣ — في اساس البلاغة في مادة(س م ر) : [قناة سمراء ، وقَنىً سُمر] [1]

٤ — في جمهرة اللغة لابن دريد : [السمرة بين البياض والأدمة ، ورجل اسمر من قوم سُمر ، وامرأة سمراء ، وقناة سمراء] .

٥ - في المخصص [2] [أبو عبيد : من الرماح الأَظمى وهو الاسمر]

٦ — في فقه اللغة للثعالبي: [3] [اذا كان الرمح أسمر فهو أظمى]

٧ — في كفاية المتحفظ للأجدابي [4] : [من صفات الرماح : الرمح الخطي ، والسمهريّ ، واليزنيّ ، والردينيّ ، والزاعبيّ ، والاسمر] .

٨ — في صحاح الجوهري [5] : [الاسمران : الماء والبرّ ، ويقال الماء والرمح]

٩ — في مختار الصحاح في غير الطبعات السالفة [6] الاسمران: الماء والبر، وقيل الماء والرمح

١٠ — في كتاب المجمل في اللغة لاحمد بن فارس [7] : الاسمران الماء والبر، وقيل الماء والرمح

١١ — في جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي : الأسمران الماء والبر ، ويقال الماء والرمح ه

دمشق : محمد الكامل القصار

---

(١) القناة الرمح ، ويجمع على قنىً مثل حصاة وحصىً . المصباح (٢) الجزء السادس الصفحة (٣١)
(٣) في الباب الثالث والعشرين في اللباس والسلاح (٤) المطبعة العلمية بحلب الصفحة ٢٦ (٥) في الطبعة الوحيدة المطبوعة ببولاق مصر ، وفي نسختين خطيتين بالمكتبة الظاهرية برقم (٢١٧ عام) ورقم (٨ لغة) ، وفي نسخة خطية نفيسة لدى اصحاب المكتبة العربية بدمشق . (٦) في مطبعة روضة الشام بدمشق سنة ١٣١٦ ، وطبعة مكتبة القصيباتي بدمشق سنة ١٣٥٨ ، وطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ ، وطبعة الحلبي في سني ١٣٢٠ ، ١٣٤٤ ، ١٣٥٥ ، وطبعة المطبعة الحسينية سنة ١٣٤٣ ، والمطبعة العثمانية سنة ١٣١١ وكلها بمصر ، وطبعة استانبول سنة ١٣١٨ ، وفي نسختين خطيتين في مكتبة القصيباتي ، ونسختين خطيتين اخريين في المكتبة الظاهرية (برقم ٩ و ١٠ لغة) ونسخة خطية اخرى في المكتبة العربية (٧) مخطوط غير تام بالمكتبة الظاهرية (رقم ٢٣ لغة)

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد السابع عشر

الصفحة